روايات 

عالمية

عودة شرلوك هولمز

عودة شرلوك هولمز

روايه بوليسية فذة

بطلها البوليس السري الانجليزي المشهور

شرلوك هولمز

بقلم الكاتب الانجليزي الفذ

السير آرثر كونان دويل

القسم الاول

عودة شرلوك هولمز

اقام حادث مصرع الاونورابل رونالد ادير مدينة لندن واقعدها فى ربيع عام ١٨٩٤ .. واشتد سخط الجمهور لعجز البوليس عن العثور علي القاتل . وقصوره عن الوقوف علي اسباب الجريمة ودوافعها . فقد كانت المعلومات التي سمحت الدوائر الرسمية بتسربها لا تشفي الغليل او تلقي ضوءا علي هذه الجريمة المروعة .

اما وقد مضت عشرة اعوام علي وقوع الحادث . فارانى فى حل من الافضاء بالحلقات التي كانت مفقودة يوم اثارهذا الحادث جميع دوائر لندن وهزها هزا عنيفا .

والواقع ان هذه الجريمة اثارت اهتمامي ولكن ليس بقدر المفاجأة المدهشةالتي اسفرت عنها .. بمالايقارن بأى حادث اخر متير مما يمتليء به سجل حياتي الحافل بالمغامرات والمفاجآت ..

ولعمرى ان مجرد تفكيرى فيما تمخض عنه هذا الحادث من نتائج غير متوقعة يثير فى نفسى الغبطة والدهشةواللهفة نفسها التي اثارها عند وقوعه .

وقد يكون من واجبي ان اتقدم لجمهرة القراء بالاعتذار المناسب نظرا لانني امسكت عنه كل ما وقفت عليه فى حينه ، ولكني كنت مرغما علي الكتمان بعد ان قطعت علي نفسى عهدا بالتزام الصمت . ولم احل من عهدى الا فىهذا الشهر فقط .

كانت صداقتي الوطيدةلشرلوك هولمز اكبر حافز لي علي التعمق فى دراسة الجريمة واركانها ودوافعها . فلما اختفى هولمزمن عالم الوجود ، دابت علي مطالعة المشاكل المعقدة التي عرضت لنا ، والتي استطاع صديقي الخالد انيتغلغل

الي اهمالها ، ويلمس اسبابها ويبدد غموضها .. لم يقصر يده علي المسئولين منها . بل لطالما حاولت ، ارضاءلكبريائي ان استخدم وسائله فى حل هذه المشكلات .. بيد اني لم اصب نجاحا يذكر .

علي ان جميع ما عرض لي خلال حياة صديقي هولمز لم يشغل مني الاهتمام الذى شغله مصرع رونالد ادير . فعندما اطلعت علي القرار الذى اصدره قاضى التحقيق وهو القرار القاضى باعتبار الجريمة مع سبق الاصرار وتسجيلها ضد شخص او اشخاص مجهولين ، ادركت بوضوح مدى الخسارة الفادحة التي حاقت بالمجتمع الانساني بفقد شرلوك هولمز .

والان بعد هذه العجالة ابدا بسرد حوادث القضية مرتبة بحسب وقوعها .

كان الاونورابل روبرت ادير الابن الثاني لايرل اوف مانيوث الذى كان حاكما عاما علي احدى المستعمرات الاسترالية فى ذلك الحين . واتفق ان عادت زوجته من النمسا لتجرى عملية جراحية ، واقامت مع ابنها رونالد وابنتها هيلدا فى بارك لين رقم ٤٢٧

وكان ابنها الشاب لا يختلط بغير الاوساط العالية المحترمة . ولا تشوب سيرته اية شائبة .. ولا يحمل له احد حقدا ولا ضغنا . ومع انه كان قد خطب الانسة اديث وودلي .. الا ان الطرفين اتفقا علي فسخ هذه الخطوبة منذ عدة شهور . دون ان يترك هذا الحادث اى اثر سيىء .. او يؤثر فى العلاقات الودية القائمة بين الاسرتين . وفيما عدا ذلك كانت حياة الشاب تسير فى مجرى ضيق محدود ، فهوهادىء بطبعه ، وديع بسليقته.

ومع ذلك فقد اخترم الموت هذا الارستقراطي الهادىء الوديع بشكل غريب غيرمتوقع بين الساعة العاشرةوالحادية

عشرة والدقيقة العشرين من ليلة الثلاثين من شهر مارس سنة ١٨٩٤

كان رونالد ادير مغرما بلعب الورق . ولكنه كان دائما يحرص علي عدم التورط .. والمجازفة بمبالغ كبيرة تسيء الي مركزه المالي . وقددفعه غرامه بلعب الورق الي الاشتراك فى ثلاثة اندية مخصصةلهذا الغرض : هي بالدوين وكافنديش وباجرتل .

واتضح من ابحاث البوليس .. انه بعد انتناول الشاب طعام العشاء .. لعب الورق فى نادى باجرتل. وكان قد قضى قبل ذلك فترة طويلة فى اللعب فى نفس النادى بعد ظهر اليوم .

وعندما استجوب البوليس بعض الشهود ، قرر الذين شاركوه اللعب ، وهم مستر موراى والسير جون هاردى، والكولونيل موران ان القتيل لم يكن مجدودا فى ذلكاليوم ، وخسر مبلغا لا يجاوز خمسة جنيهات .

علي ان تلك الخسارة الضئيلة لم تك لتؤثر فى مركزادير المالي ، لانه كان يملك دخلا لا بأس به .. وبرغم انكبابه علي لعب الورق يوميا .. فانه كان حذرا حريصا .. وغالبا ما كان يترك منضدة اللعب وجيوبه مفعمة بالربح

وقد اتضح من التحقيق ان ادير كان يربح ، باشتراكهمع الكولونيل موران ،مبلغا لا يقل عن اربعمائة وعشرين جنيها فى جلسة واحدة منذ اسابيع قلائل قبل مصرعه .. وكان منافساهما فى اللعب جودفرى ميلر واللورد بالمورال .

كان هذا تاريخ رونالد ادير كما كشف عنه التحقيق

لنعد الان الي سرد حوادث الليلة التي لقي الشاب فيها مصرعه .

عاد رونالد ادير الي منزله فى الساعة العاشرة تماما .. وكانت امه واخته تقضيان المساء خارج المنزل ، فى زيارة

احدى قريباتهما .. وقررت الخادمة انها سمعت سيدها يدخل الي الغرفة الامامية من الطابق الثاني المنزل .. وكانت قد اشعلت المدفاة فيها .. ولما كان الدخان المتصاعد منها خانقا .. فقد فتح رونالد النافذة لتصريفه

وظل الصمت مخيما علي الغرفة حتي عادت الليدى مانيوث وابنتها فى الساعة الحادية عشرة والنصف.. ورغبت الام فى ان تقرىء ابنها تحية المساء .. وحاولت ان تدخل غرفته .. ولكنها لم تستطع ، اذ وجدت الباب مغلقا من الداخل .. فراحت تدقه بكلتا قبضتيها وتناديه بأعلي صوتها دون ان تتلقي منه جوابا .

واستعانت الام والاخت بالخدم .. ففتحوا الباب عنوة .. وكان اول ما وقعت عليه ابصارهم منظرا تقشعر منه الجلود .

رأوا الشاب التعس ممددا فوق الارض علي مقربة من المنضدة .. وفي رأسه ثقب ينزف منه الدم بغزارة ، احدثته رصاصة مسدس قضت عليه فى الحال .. ولكنهم لم يعثروا علي اى نوع من الاسلحة فى الغرفة

وفوق المنضدة عثروا علي ورقتين من ذات العشرة الجنيهات .. وسبعة عشر جنيها من النقود الفضية والذهبية كانت مكدسة فى اكوام صغيرة

وكانت هناك رقعة من الورق قد سجلت فوقها بضعة ارقام وامامها اسماء بعض اصدقاء الشاب فى الاندية .. مما دعا الي الاعتقاد بأنه كان يحاول حصر ربحه وخسارته قبل ان يلاقي حتفه .

ومع ان البوليس كان يعتقد ان فحص الظروف التي احاطت بمصرع رونالد قد تؤدى الي تيسير سبل البحث امامهم .. الا ان النتيجة جاءت علي عكس ما اعتقدوا .. وزادت القضية تعقيدا وغموضا

ذلك انه برغم البحث المتوالي لم يستطع المحققون معرفة السبب الذى حمل القتيل علي اغلاق باب غرفته بالمفتاح من الداخل .. وقد قدروا فى احتمالهم ان القاتل هو الذى اغلقه ، وهرب عن طريق النافذة .. ولكن الظواهر كلها كانت ضد هذه النظرية .. فقد وجدوا النافذة ترتفع عن الارض نحو عشرين قدما او يزيد .. وبأسفلها تماما خطوط متوازية من الزهور أسفر فحصها عن ان واحدا منها لم يتحطم ، كما كان يحدث ولا ريب لو ان أحدا حاول ان يجتازها وهو يهبط من النافذة .. وفوق ذلك لم تكن هناك آثار اقدام فوق الارض .. او فوق الاعشاب التي تفصل بين المنزل والطريق العام .

من هذا ثبت قطعا ان الشاب هو الذى اغلق الباب .. لكن كيف قتل ؟

كان من المستحيل ان يتسلق شخص النافذة بغير ان يترك اثرا ينم عليه .. واذن فلم يبق الا افتراض ان رجلا ماهرا فى الرماية اطلق النار علي الشاب من الطريق ، فأرداه قتيلا

كان هذا الافتراض مقبولا الي حدما .. ولكن طبيعة بارك لين جعلت تحقيقه ضربا من المستحيلات .. ذلك أن هذه الساحة تظل مزدحمة بالسابلة الي ساعة متأخرة من الليل وفوق ذلك ، كان هناك موقف سيارات علي بعد مائة ياردة من المنزل .. فلو اطلقت رصاصة فى الحي لسمعها السائقون ولكن هؤلاء جميعا قرروا انهم لم يسمعوا شيئا .

ومع تقوض هذين الفرضين من اساسهما .. لم يكن فى الاستطاعة تجاهل وقوع الجريمة فها هي الجثة دليل صارخ علي ارتكابها .. وهذا هو الثقب والرصاصة المدببة الطرف التي قضت علي الشاب التعس

تلك كانت الظروف الغامضة التي اكتنفت جناية بارك لين

كما اطلقوا عليها وقتئذ .. وقد زادها تعقيدا انعدام الباعث علي ارتكابها . فقد كان القتيل ، كما قررت ، رجلا مسالما لا يعادى احدا فضلا عن ان القاتل لم يحاول ان يستولي علي اكوام النقود التي كانت مكدسة فوق المنضدة .

قضيت النهار كله وانا اقلب هذه الحقائق فى راسى . محاولا ان اصل الي نظرية معقولة تضم اركان الجريمة كلها ولكن علي غير طائل

وفى المساء غادرت منزلي ، وانطلقت الي بارك لين سيرا علي قدمي .. فبلغت شارع اكسفورد فى الساعة السادسة وهناك رايت جمهرة كبيرة من المارة يحدقون فى نافذة المنزل الذى جئت لاراه .

وكان اول ما استرعي اهتمامي رجل طويل القامة ، نحيف الجسم ، يضع عوينات ملونة فوق عينيه .. ادركت لاول وهلة انه من رجال البوليس الملكي

سمعت هذا الرجل يشرح المتجمهرين حوله رايه فى الجريمة . والجميع يصغون اليه باهتمام ولهفة . فاقتربت منه ما استطعت . واصغيت بدورى . ولكنني سرعان ما ايقنت ان الرجل غبي احمق . وتولاني السأم من الاستماع الي هذيانه وسفسطته . ومن ثم انسحبت محنقا

بيد اني ما كدت اتحول لانصرف حتي اصطدمت بكهل قوست السنون ظهره كان يقف ورائي تماما . فاسقطت فوق الارض عدة مجلدات من الكتب الثمينة كان يحملها تحت ابطه ..

واذكر انني ، وانا اسرع الي التقاط الكتب ، قرات عنوان احدها . وهو « اصل عبادة الاشجار » . فدار بخلدى ان الرجل كتبي متجول . او انه من هواة جمع الكتب العتيقة

وحاولت ان اعتذر اليه . ولكن بدا من تصرفه ان هذه الكتب كانت ثمينة جدا فى نظره ، فقد تطلع الي غاضبا ،

واشاح عني بوجهه . ثم انصرف لايلوى علي شيء .
ورحت انعم النظر الي منزل رونالدادير ، ولكني لم اجد فيه مايدعو الي الاهتمام .
كان هناك سور منخفض يفصل بين المنزل والطريق العام ومن ثم كان من الميسور لاى انسان ان يتسلق هذا السور الي الحديقة دون ان يجتذب الانظار اليه .
وعلي العكس من ذلك ، كان من المتعذر بلوغ النافذة ، لعدم وجود مواسير او مايساعد الرجل البارع فى التسلق علي الصعود اليها .
عدت ادراجي الي كنجستون وانا اشعر بخيبة امل مريرة . بيد انني ماكدت اقضى خمس دقائق فى غرفة مكتبي حتي اقبلت الخادمة تعلن ان هناك زائرا يريد مقابلتي ..
وشدما كانت دهشتي حينما اقبل الزائر . وتبينت انه نفس الرجل الكهل الذى اصطدمت به فى بارك لين ، واسقطت كتبه التي يعزها كل الاعزاز فوق الارض
ابتدرني قائلا بصوت صدىء :
– لاريب ان الدهشة قد استولت عليك لرؤيتي ياسيدى
فلما امنت علي قوله ، استطرد قائلا : اني رجل مرهف الاحساس ياسيدى . ولما رايتك مصادفة تدخل هذا المنزل قلت لنفسى انه من اللياقة ان ازورك ، لكي اقول لك انني لم اكن اقصد اهانتك بتصرفى الجاف .. ولاعرب لك عن شكرى لتعطفك بالتقاط الكتب بعد سقوطها .
فقلت له متلطفا :
– لقد جسمت حادثا تافها ياسيدى . هل لي ان اسألك كيف عرفت شخصيتي ؟.
– انني جار لك . فانك لتجد مكتبتي المتواضعة عند ركن شارع تشيرش .. وانه لمن دواعي سرورى ان تشرفني بزيارتك . لعلك ايضا تهتم بجمع الكتب ياسيدى ... اليك

عددا من المؤلفات النادرة ، كل منها كنز ثمين . واحسب ان خمسة منها تكفي لسد الفراغ الذى اراه فى الرف الثاني لانه يبدو غير منسق بحالته الراهنة .

ادرت راسى لاتطلع الي الفراغ الذى تحدث عنه .. ولكني ماكدت التفت الي زائرى ثانية .. حتي رايت شرلوك هولمز واقفا امامي .. ينظر الي بعينين متالقتين .. ويفتر ثغره عن ابتسامة رقيقة

ونهضت واقفا علي قدمي .. ورحت احدق فيه .. وقد عقلت الدهشة لساني .. وسلبتني القدرة علي الكلام

وللمرة الاولي والاخيرة فى حياتي ، فقدت وعيي .. وعندما استرددته ، الفيت هولمز ماثلا فوقي .. وفى يده قنينة صغيرة كان يدنيها من انفي بين الفينة والفينة

قال بصوته الطبيعي : اني مدين لك بالف اعتذار ياعزيزى وطسن .. اؤكد لك انه لم يخطر ببالي ان المفاجأة ستحدث فى نفسك مثل هذا الاثر البعيد

فشددت الضغط علي ذراعه .. وصحت بانفعال :

ـ هولمز ! اهذا انت حقا ؟ هل من المعقول انك لاتزال علي قيد الحياة ؟ احقا انك وفقت الي تسلق الهاوية اللعينة .. ام انك بعثت حيا ؟

ـ تمهل لحظة يا عزيزى وطسن .. انبئني هل انت فى حالة تسمح لك بالحديث ؟ لقد احدثت لك بظهورى المفاجيء صدمة قوية بغير ماداع

ـ اني بخير .. لكن يا الله يا هولمز .. اني اكاد اكذب عيني فما كان يخطر ببالي انني سأراك مرة اخرى !

وقبضت علي يده ثانية .. وتحسست ذراعه .. فالفيته كما عرفته .. وقلت :

ـ انك لست شبحا علي كل حال .. حقا ان رؤيتك لتغمرني فرحا وجذلا .. اجلس ياعزيزى ، وحدثني كيف استطعت ان تعود الي الحياة بعد هذه الغيبة الطويلة

فجلس قبالتي .. واشعل غليونه العتيق باهتمام وعناية كما كان شأنه دائما .. ثم اطرق براسه مفكرا

ورحت اتاملة بعد ان تخلص من تنكره .. فالفيت عينيه شديدتي التالق ، ينبعث منهما ذلك البريق الخاطف الساحر الذي يملك علي المرء نفسه .. ويجرده من ارادته .. ولكن امتقاع لونه .. وما كسا وجهه من دلائل التقدم في السن جعلني اعتقد انه قضى الفترة الاخيرة من حياته ، وهو يحيا حياة غير صحية .

ورفع راسه بعد هنيهة .. وقال : شدما يسرني ان اعاود الجلوس في الوضع الذي ارتاح اليه ياوطسن . . فانك لاتدري كيف يشعر المرء بالضيق والعذاب حينما تضطره الظروف الي اخفاء قدم من طوله ساعات غير محدودة

وسكت هولمز قليلا .. ثم عاد فقال : انك تريدني علي ان افضى اليك بقصتي ، ولكني ارى ارجاء ذلك الي ما بعد الفراغ من مغامرة جديدة خطرة عرضت لي الليلة ساحتاج الي معاونتك لانجاحها

فقلت باصرار : ولكنى اشد لهفة الى سماع الحوادث التى مرت بك فى الواقع

ـ هل سترافقني الليلة ؟

ـ بكل تأكيد .

ـ آه ! انك مازلت كعهدى بك .. لايزال فى الوقت متسع لتناول بعض الطعام قبل ان ننصرف .. فلاحدثك فى هذه الفترة بماخص ماحدث لي .. لقد سالتني كيف نجحت فى الخروج من الهاوية .. ولكني أؤكد لك انني لم الاق اية صعوبة من هذه الناحية لسبب بسيط جدا وهو انني لم اسقط فيها

فصحت مشدوها : لم تسقط فيها ؟ وكيف كان ذلك ؟

ـ كانت رسالتي اليك حقيقة لازيف فيها .. فلم يكن يساورني شك علي الاطلاق فى انني سالاقي حتفي عندما

لاح لي وجه الاستاذ موريارتي المخيف وهو واقف فى الممر الضيق الموصل الي طريق الامان .. وقد قرات الغدر فى عينيه الشريرتين .. ومن سخرية القدر اننا تبادلنا بعض عبارات المجاملة رغم ما بيننا من عداوة متأصلة وبغض شديد ومن عجب ان الرجل سمح لي بتأدب واحترام ان اكتب اليك الرسالة القصيرة التي تلقيتها فيما بعد .. وبعد ان فرغت من كتابتها وضعتها فى علبة لفائفي .. ووضعت هذه مع عصاى فوق الارض .. ثم تقدمت فى الممر

وكان موريارتي يتبعني عن كثب . فلما بلغت نهاية الممر وقفت عند قمة الهاوية . واعددت نفسى لاستقبال الموت بهدوء ورباطة جاش

ولم يحاول غريمي اخراج مسدسه . ولكنه اندفع نحوى فجاة . واحاطني بذراعيه

كان يعلم ان النهاية قد دنت ، وانه يجب ان يختفي احدنا من عالم الوجود . ولست اشك فى انه كان مصرا على ان اكون انا ضحية هذ الصراع القاتل ، ولاعجب فى ذلك فقد اراد الرجل ان يثأر لنفسه مني اولا ، ثم يقضى على نهائيا .

واشتد صراع الموت بيننا ، ثم سقطنا على الارض ، وبدا كل منا يحاول التخلص من قبضة غريمه . والقائه فى الهاوية

وقد كان لمبادىء المصارعة اليابانية التي تلقيتها قبل ذلك فضل فى بقائي حيا حتي اليوم .. ولعمرى انها انقذتني من موت محقق . ذلك انني استطعت ان اتخلص من قبضة عدوى .. ثم وثبت واقفا علي قدمي .

وحذا موريارتي حذوى ، ولكنني سبقته فى التسلط علي الموقف ، ومن ثم دفعته بكل قوتي نحو الهاوية ، فترنح . وراح يضرب الهواء بيديه . محاولا ان يتجنب السقوط .. ولكن جهوده ذهبت ادراج الرياح . فصرخ صرخة مروعة . وسقط من حالق

وتقدمت من الحافة . وتطلعت الي اسفل ، فرايت الرجل التعس يهوى فوق صخرة ضخمة ثم ابتلعه ماء الشلال

سكت هولمز . وراح يدخن غليونه فى هدوء .. واما انا فرحت احدق فى وجهه بذهول ووجوم .

ثم صحت : لكن بماذا تعلل الآثار التي رايتها بعيني راسى كانت هناك آثار اقدام رجلين تقدما نحو الهاوية ولكنهما لم يعودا .

– ومن قال لك انني عدت عن طريق الممر ؟. عندما ابتلعت الامواج جثة الاستاذ ايقنت انني رجل مجدود اذ نجوت من الموت باعجوبة . ولكني كنت اعلم ان موريارتي لم يكن الرجل الوحيد الذى اقسم أن يقضى علي . وانه هناك علي الاقل نحو ثلاثة او اربعة اشخاص من اعوانه سيحاولون ماحاوله زعيمهم وفشل فيه . وما اظنك تجهل ان هؤلاء الرجال من اخطر المجرمين الذين دبوا علي وجه الارض . وانهم لن يقفوا عند اى حد لانتقامهم مني لقتل زعيمهم . ومن ثم خطرت لي فكرة عولت علي اخراجها الي حيز التنفيذ

قلت لنفسى انه لو عرف الجميع ان شرلوك هولمز قد اختفي من عالم الوجود . لنمي هذا النبأ الي اعوان موريارتي . ولسروا له ايما سرور . ولعاثوا فى الارض فسادا ، غير عابئين برجال البوليس . وعندئذ تواتينى فرصة الظفر بهم ، والقضاء عليهم . فاذا ما فعلت ذلك اعلنت للملأ انني لا ازال حيا ارزق .

جالت هذه الخطة فى ذهني ، وانا واقف علي حافة شلال ريشنباخ . وصح عزمي علي العمل بها فورا ، فبدات افحص الجدار الصخرى الذى كنت اقف امامه .

وقد يكون من المناسب فى هذا المقام ان اقول لك انني قرات فيما بعد القصة التي كتبتها عن الحادث ، وفيها تقول ان الجدار كان املس . يتعذر تسلقه . ان لم يستحل

ولكني اخالفك في هذا الراى . فقد كانت هناك مواطئ اقدام تكفي لتسلق الجدار مع كثير من الحذر والحيطة . صحيح ان الشاطيء كان شديد الارتفاع بحيث يخيل الى من يراه ان تسلقه بعيد التحقيق . ولست اكتمك ان هذا الشعور ساورني وانا اتطلع الي اعلي . ولكني كنت اعلم ايضا ان عودتي مخترقا الممر .. ستسجل آثار قدمي فوق الارض المبللة . وانه بفرض انني خلعت حذائي فان السير بغيره سيخلف آثار قدمى فوق الارض المبللة وانه بفرض انني خلعت حذائى فان السير بغيره سيخلف آثار قدمى شخص ثالث من شأنها ان تثير الرغبة فى معرفة صاحبها وماكان يصنعه فوق الهاوية .

لم يبق امامي اذن غير ان اجازف بتسلق الجدار الصخرى ولعمرى كم كانت عملية شاقة ياوطسن . كان زئير المياه يرتفع من اسفل فيصم الآذان . ويلقي الذعر فى القلب

انت تعلم انني رجل لاتفقدني الملمات رباطة جاشى . ولكني اقسم لك انني سمعت صوت موريارتي وهو يصرخ من اعماق الهوة

كانت اية زلة تؤدى الي وقوع الكارثة . ومع ذلك فقد حدث مرارا ان كنت اقبض باحدى يدى علي بعض الاعشاب النابتة فى الجدار ، لاتشبث بها ، واستانف الصعود . فتخرج هذه الاعشاب من مكانها ، وتنزلق قدمي واكاد اهوى الي الاعماق .

ولكن سلامتى لم تكن قد دنت بعد . فرحت اتسلق الجدار مترنحا متارجحا ، حتي بلغت نتوء الصخر . فتمددت فوقه بعيدا عن الانظار التماسا للراحة بعد هذا المجهود الشاق المضني .

وفى تلك الاثناء رايتك قادما ياعزيزى وطسن . ولكنك لم تكن وحدك . فرحت ارقبكم بعين العطف وانتم تبحثون

وتنقبون عني بدقة وعناية ..

وعندما فرغتم اخيرا من بحثكم . وخيل اليكم انني لامحالة قد قضيت . عدتم من حيث اتيتم . وخلفتموني وحيدا .

وحينئذ خطر لي انني بلغت نهاية المغامرة ، لكن وقع في تلك اللحظة حادث لم يكن في الحسبان جعلني ادرك يقينا انه مازالت هناك مفاجآت خطيرة فى انتظارى .

فقد حدث ان سقطت صخرة ضخمة من عل . ومرت بجانبي . وارتطمت بالممر . ثم هوت وغاصت فى ماء الشلال محدثة دويا مخيفا

خيل لي بادىء الامر ان الحادث عرضى . ولكني مالبثت ان تبينت مقدار خطئي عندما رفعت عيني الي اعلي . ورايت وجها شريرا مطبوعا فى السحب السوداء .

وفى اللحظة التالية سقطت صخرة كبيرة فوق النتوء ، ومرقت علي قدم واحدة من راسى ، ثم هوت الي الشلال .

ادركت فى التو ان موريارتي لم يكن وحده ، وكانت نظرة واحدة الي وجه الرجل كافية لان تدلني علي انه من اخطر اعوان موريارتي . وانه كان قد تخلف عن اللحاق بنا ليحرس الطريق حتي يفرغ زعيمه من القضاء علي

ولم تساورني الريبة فى ان الرجل قد شهد الصراع العنيف الذى نشب بيني وبين موريارتي . والذى انتهي بالقضاء علي غريمي الجهنمي . وما اعقبه من محاولتي الهرب . فتمهل . ثم تسلق الي حافة الشلال من الناحية الاخرى المأمونة .. وبدا يقذفني بالصخور ، محاولا ان يوفق فيما اخفق فيه زعيمه .

جالت هذه الخواطر فى ذهني فى اقل من لمح البصر . وايقنت ان بقائي حيث انا سيعرضني لا محالة للهلاك .. ومن ثم نفضت عني تراخي ونشطت الي تسلق الجدار الصخرى عائدا الي الممر ..

وادرك الرجل غرضى . فنشط بدوره للعمل . واخذ

يقذفني بوابل من الصخر .. وانا احاول جاهدا ان ابلغ الممر في اقصر وقت مستطاع حتي اتلافى تحطيم جمجمتي .

ولعمري كانت عملية اشق من عملية التسلق . فقد كانت الاخيرة آمن نوعا لانها خالية من الخطر الذى اكتنف الاولى

وما ان بلغت منتصف المسافة حتي انزلقت قدمي .. وسقطت في الفضاء .

ولكن الله كان رحيما بي .. فسقطت فوق الممر .. والدماء تنزف من يدى وركبتي بغزارة .!

ووثبت واقفا علي قدمي غير عابيء بآلامي الشديدة .. واطلقت ساقي الريح .. وقطعت مالا يقل عن عشرة اميال وانا اعدو بين الجبال في جوف الظلام . وبعد اسبوع كنت في فلورنسا

كنت واثقا من ان احدا لايعرف ما آل اليه مصيرى . ومن ثم عولت علي كتمان انبائي عن جميع الناس فيما عدا اخي ميكروفوت .

ولاحظ هولمز انني قطبت حاجبي تألما . وعتابا . فاسرع يقول :

ـ صحيح اني اخطأت ياعزيزى وطسن اذ لم انبئك .. لكن الظروف كانت تحتم علي ان اترك الجميع ـ بما فيهم انت ـ يعتقدون انني انتقلت الي الدار الآخرة .. ولست اشك في انه كان يتعذر عليك ان تكتب مثل هذه القصة الرائعة عن مصرعي لو انك عرفت انني لم امت .

ومع ذلك فقد هممت بالكتابة اليك مرات عديدة خلال الاعوام الثلاثة الاخيرة .. ولكنني خفت دائما ان يحملك حبك العميق لي علي اتيان عمل طائش يكشف سرى الذى حرصت علي كتمانه كل الحرص .. ولهذا اشحت عنك بوجهي عندما اصطدمت بي واسقطت كتبي فوق الارض .. فقد كنت معرضا لخطر الافتضاح في تلك اللحظة .. اذ كان يكفي ان

تبدر منك اية بادرة تدل علي الدهشة او الانفعال .. فتتجه الينا العيون ثم تنشط الاذهان .. وتجاو الغموض الذى احاط بي نتقع الكارثة .

قلت لك انني اضطررت الي اطـــلاع اخي ميكروفت علي الحقيقة .. وما دفعني الي ذلك الا حاجتي الي المال لاعيش

ولم تسر الحوادث فى لندن وفق ما كنت اشتهي .. فقد اطلقت المحكمة سراح اثنين من اخطر اعوان موريارتي ومن اشدهم عداوة لي ومقتا

وقررت ان ارحل عن القارة الاوربية مؤقتا ريثما تستقر الاحوال ، فاعود لاقتناص هذين الوغدين .. وقضيت عامين وانا اتجول فى التبت .. ولعلك قرات عن رحلات ســـائح نرويجي يدعي سيجرسون نزح الي تلك البقاع للاستكشاف ولكني واثق من انه لم يخطر ببالك ان هذا السائح لم يكن غير صديقك شرلوك هولمز

قصدت بعد ذلك الي مكة المكـرمة .. وزرت الخليفة فى الخرطوم .. وارسلت تقريرا الي وزارة الخارجية بنتائج هذه الزيارة ، ولكن باسمي المستعار .. وبعدئذ عدت الي فرنسا وقضيت بضعة شهور فى اجراء بعض التجارب الكيميائية .. فاما انتهت بالنجاح الذى كنت انشده .. بلغني انه لم يبق من اعدائي الالداء فى لندن غير واحد فقط ، فعولت علي المجيء ولكني اخذت ارجيء عودتي يوما بعد يوم .. الي ان تناهت الي مسمعي قصة مصرع رونالد ادير . فشددت الرحال الي هنا علي عجل .. وانا واثق من ان هذه القضية سوف تنجلي عن نتائج شخصية لم تكن فى الحسبان

عدت الي لندن .. حيث قصدت الي منزلي فى شـــارع بيكر بهيئتي العادية .. فما كادت مديرة منزلي ، مســـز هدسون ، تراني حتي طفقت تصرخ تارة وتصيح اخرى .. الي ان هدا روعها فى النهاية .. وعاودها وقارها

وكان اخى ميكروفت قـــد ترك كل شيء على حاله يوم اختفيت .. فما كادت الساعة تدق الثانية مساء من هذا اليوم حتى الفيتنى جالسا من جديد فى مقعدى المحبوب فى غرفة مكتبى .. ولم يكن ينقصني سوى ان ارى صـــديقى العزيز الدكتور وطسن جالسا قبالتي فوق ذلك المقعد العتيق الاثير عنده

***

فرغ هولمز من سرد قصته المدهشة اخيرا .. وليعذرنى القارىء حين اقول اننى ظللت دقائق طويلة ملازما الصمت لا اكاد اصدق اذنى

وتبين هولمز حيرتي .. فقال متلطفا :

ـ ان العمل خير دواء للالم ياوطسن . وان امامى قضية تحتاج الى بذل مجهود شاق .. فلو وفقنا الى جمع اطرافها لكان ذلك اعظم انتصار لنا

ورحت اتوسل اليه ان يفضى الى بما يكتمه .. ولكنــه رفض ان يدلى حتى ولو بتلميح عن مغامرته الجديدة .. وقال :

سوف تسمع وترى مافيه الكفاية قبل ان ينبلج فجر اليوم الجديد .. فلنتحدث اذن فى حوادث الاعوام الثلاثة الماضية حتى الساعة التاسعة والنصف .. وبعـدئذ نبدا مغـامرة المنزل الخالى .

ومن جديد عادت الى ذكريات الماضى السعيد .. اذ ماكادت الساعة تدق التاسعة والنصف حتى وجدتنى جالسا بجوار هولمز فى احدى المركبات ، ومسدسى فى جنبى .. بينما كانت تعمر قلبى روح المغامرة .

واما هولمز فظل على صمته وصرامته .. وبروده كعهدى به .. وكلما انعكست على وجهه اشعة احد مصابيح الطرقات كنت الاحظ انه مقطب الجبين مستغرق فى تفكير عميق لم اكن اعلم من يكون الشيطان الجـديد الذى خرجنا

لمطاردله . والمتناصه .. ولكن مجرد النظر الى وجه القناص حمانى على الاعتقاد بان مغامرتنا محفوفة بالمخاطر والمكاره

وحاولت ان اتتبع الطريق الذى نسلكه بتامل معالمه ، فخيل الى اننا ذاهبان الى بيكر ستريت .. بيد ان هولمز اوقف المركبة عند ناصية ساحة كافنديش . وصرفها .

وقد لاحظت انه ماكاد يطأ الارض بقدميه حتى تلفت حوله بانتباه شديد .. وكذلك كان يفعل كلما انحدرنا فى شـــارع جديد . فادركت انه يستوثق من ان احدا لا يتعقبنا .

ولو حاولت ان اصف الطرق التى سلكناها فى تلك الليلة لاخطأنى التوفيق . فقد كان هولمز ملما كل الالمام بمداخل لندن ومخارجها . حتى احقر الازقة فيها

وبعد رحلة طويلة ملتوية ، بلغنا حارة ضيقة تقوم على جانبيها منازل عتيقة .. انتهت بنا الى شـــارع مانشستر ومنه الى شارع بلاندفورد .

وهنا انحدرنا الي ممر ضيق . ومررنا من بوابة خشبية الى ساحة مهجورة

واخرج هولمز مفتاحا من جيبه فتح به باب منزل خلفى . وما ان ولجناه . حتى اغلقه خلفنا

كان المكان شديد الظلام .. ولكننى ادركت بالبداهة ان المنزل خال من السكان

وراحت الواح الخشب تصر تحت ضـــغط اقدامنا . ولمست يدى المبسوطة امامى جدارا كانت اوراقه ناتئة وممزقة فى شرائط مستطيلة

واحسست باصابع هولمز الباردة الرفيعة تقبض علـى معصمى .. وقادنى فى ردهة مســـتطيلة .. الى ان بلغنا غرفة عارية من الاثاث . فسيحة الارجاء . يتسرب اليهـا شعاع ضئيل من مصباح الطريق خلال نافذة زجاجية عليها طبقة سميكة من التراب

ولم نستطع ان نرى شيئا مما حولنا لشدة ضعف الضوء ومن ثم وضع هولمز يده فوق كتفى .. ثم همس فى اذنى قائلا :
ـ هل تعلم اين نحن الآن ياوطسن ؟
فاجبت وانا احدق من خلال النافذة :
ـ اننا في شارع بيكر بغير شك
ـ اصبت .. نحن الآن فى منزل كامدن الواقع فى مواجهة مركزنا القديم .
ـ لكن لماذا جئت الي هنا ياصديقى ؟
ـ لاننا نستطيع ان نرى من هنا تلك الكومة الفذة بوضوح اقترب من النافذة ياعزيزى وطسن . ولكن حذار ان تظهر نفسك .. ثم انظر الي مسكنى الذى شهد عددا لايحصى من مغامراتنا الصغيرة !! عما قريب سوف ترى اذا كانت غيبتى عنك ثلاث سنوات قد جردتنى من القـــدرة على مفاجأتك ام اننى لاازال احتفظ بهذه القدرة
فزحفت الي الامام . وتطلعت الى النافذة المالوفة . ولكنى ما كدت اتميز ماخلفها حتى صعقت واستولى على الذهول الشديد .
كان الستار مسدلا . بينما اوقدت فى المدفأة نار مشبوبة ورايت شبح رجل جالس فوق المقعد الوثير الذى اعتاد صديقى هولمز ان يلجأ اليه كلما واجهته احدى المشـــاكل وشغلت عليه كل تفكيره .
وكانت نظرة واحدة الي وضع الرجل الجالس .. والى وجهه المدار قليلا . كافية لان تؤكد لى قطعـــا اننى امام شرلوك هولمز رقم ٢
عقلت الدهشة لساني .. فمددت يدى اتحسس هولمز لاستوثق من انه موجود بجوارى ، فسمعته يطلق ضحكة هادئة خافتة .. ثم سألنى : وبعد ؟
فصحت مشدوها : ياالسماء !! هذا عجيب وايم الحق .

فقال بصوت لبينت فيه رنة الزهو والفخار : الا ترى هذا التمثال صورة طبق الاصل منى ؟

ـ لو لم اعلم الحقيقة منك .. لاقسمت انه انت

ـ ان المسيو مونييه يستحق الاطراء ، فقد قضى بضعة ايام وهو يعمل ليل نهار لاتمام هذا التمثال الدقيق ، انه مصنوع من الشمع ، وتتحرك اعضاؤه وفقـــا لارادة اى انسان ، وقد احضرته (اى التمثال) معي عند عودتى من رحلتى الطويلة ، واعددت كل شيء عند زيارتى الى منزلى فى شارع بيكر بعد ظهر اليوم .

ـ لكن لم كل هذا ؟

ـ ذلك لان لدى من الاسباب الوجيهـــة مايحملنى علي ان القى فى روع بعض الناس اننى موجود هنا ، بينما اكون فى الواقع فى مكان آخر .

ـ لاريب اذن فى انك تعتقد ان منزلك مراقب ؟

ـ بل انى اعلم ذلك عن يقين .

ـ ومن ذا الذى يراقبه ؟

ـ اعدائى القدماء ياوطسن ، اعضاء العصابة التي يرقد زعيمها فى شلال ريشـــــنباخ ، ينبغى ان تذكر انهم كانوا يعلمون انني لا ازال علي قيد الحياة ، ويتوقعون عـــودتي الى منزلي ان عاجلا اوآجلا ، ومن ثم وضعوه تحت المراقبة المستمرة ، وراونى اعود اليه فعلا هذا الصباح .

ـ وكيف عرفت ذلك ؟

ـ لانى عرفت الرجــــل الذى اناطوا به مراقبة المنزل عندما تطلعت من نافذتى هذا الصباح انه يبدو رجلا ساذجا لاخطر منه ، لعلك تريد ان تعرف اسمه ؟! انه يدعي باركر .. وهو مهرب كبير .. ان امره لايهمنى ياعزيزى وطسن .. ولكنى اشد اهتماما بامر الشخص السفاك الذى يحتجب خلفه .. اعني صـــديق موررياتي الحميم الــذى قــذفني

بالصخور وانا ممدد فوق النتوء الصخرى عند شلالات ريشنباخ . وبالتالى اعظم مجرم داهية فى لندن ، هذا هو الرجل الذى يقتفى اثرى الليلة ياوطسن ، وهو نفسه الرجل الذىاقتفى بدورى اثره وهو غافل تماما عن نواياى فهل رايت سخرية اروع من هذه ؟

اخذت خطط صديقى تنكشف رويدا رويدا .. فقد كانت اولى هذه الخطط تقضى برصد حركات مراقبية من هذا المخبأ المناسب .

ووقفنا صامتين فى الظلام .. واخذنا نرقب اشباح المارة فى الطريق وبرغم الجمود الذى كان باديا على هولمز لم يخف علي انه كان شديد اليقظة والتحفز .. كما لاحظت انه كان يتأمل السائرين باهتمام شديد .

كان الليل باردا . والريح تعصف بشدة . فرحت اقطع الوقت بمراقبة الراجلين بدورى .. وخيل الى اننى رايت رجلين يسيران فى اتجاه معين . ثم يعودان الى السير فى الاتجاه المضاد ويحتميان من الريح عند مدخل منزل علي كثب من مخبئنا ، فحاولت ان اجذب انتباه صديقى اليهما .. ولكنه اتي بحركة من يده تدل على نفاد الصبر ، ومضى يحملق فى الطريق .

ومضت الدقائق ثقالا حتى خيل الى ان الملل قد استولى على صديقي . فقد راح ينقر الجدار بأصابعه ، وهى حركة اعتاد ان يأتيها كلما عيل صبره .

وعندما اشرف الليل على الانتصاف ، اخذت حركة المرور تخف فى الطريق ، فتحول هولمز عن النافذة ، وراح يذرع الغرفة الفسيحة بخطى قلقة تدل على الاضطراب والانفعال

وهممت بالتحدث اليه فى شأن موقفنا الغريب . عندما لاحت منى نظرة عابرة الى النافذة المقابلة ورايت منظرا جعلنى اجمد فى مكانى كالتمثال .

وقبضت على معصم هولمز .. وهتفت : لقد تحـــرك التمثال !

وكان صحيحا ماقلت .. فقد تحرك راس التمثال .. وادار لنا ظهره .

فقال هولمز متبرما : بالطبع ياصديقى .. هل تحسبنى من البلاهة بحيث احاول ان اضلل بعض دهاة الرجال فى اوربا بدمية جامدة لاتتحرك ؟! لقد انقضت ساعتان منذ جئنا الى هنا .. وقد اجرت مسز هدسون بعض التغيير فى وضع التمثال ثمانى مرات .. او بعبــارة ادق مرة كل ربع ساعة .. انها تقوم بهذا التعديل بالاقتراب من التمثال زحفا على ركبتيها من الامام حتى لايسقط ظلها على النافذة فيراها المراقبون .. آه !

وشهق هولمز شهقة قوية .. ودب النشاط فى جســمه فجاة .. وارهف السمع .

كان الطريق خاليا تماما فى تلك الاثناء .. ولم استطع ان ارى شبحى الرجلين اللذين كانا يلوذان بباب احد المنــازل .. فحولت اهتمامى الى الدمية الجالسة خلف النافذة المقابلة

وفجاة .. سمعت صوتا رفيعا خافتا صادرا من مكان قريب .. واحسست باصابع هولمز تقبض علي يدى بعنف . ثم جذبنى الى الخلف نحو ركن الغرفة المعتم .. ووضــع احدى اصابعه فوق شفتيه محذرا .

كانت يده ترتعد .. فأدركت فى التو انه يعانى من حالة نفسية شاذة .

وبعد لحظات تكرر الصوت .. واخذ يتضخم تدريجيا . حتى وضح كل الوضوح .

كان صوت اقدام تسير فى الدهليز .. يحاول صاحبها ان يخفف من وقعها جهد طاقته .

والتصق هولمز بالجدار .. فاقتديت به .. وانا اتحســس

قبضة مسدسى فى جيبى .

ومكثت احدق فى الظلام برهة ثم رايت شبح رجل يقف علي عتبة الباب .. ويلقى نظرة شاملة علي الفرفة ولكن بحذر ، ولما كنا قد لزمنا اظلم ركن فيها .. فانه لم يرنا .

وكانما اطمأن الرجل الي انه وحيد فى الفرفة .. اذ نفض عنه بعض حذره .. وتقدم الى الداخل بخطى اسرع قليلا من خطواته الاولي .

ومر الرجل من امامنا.. ثم تقدم من النافذة .. ورفعها بهدوء وحذر الي اعلي نصف قدم تقريبا .

ومال الى الامام .. واطل من الفتحة الى الخارج .. وعندئذ نفذ الضوء الي داخل الغرفة وسقط علي وجهه .

كان الرجل بادى الانفعال .. واخذت عضلات وجهه تختلج فى وضوح .. دلالة على العاصفة النفسية التىتجتاحه .. واما عيناه فكانتا تلمعان كالشهب .

كان رجلا متقدما فى السن .. له انف مدبب . وجبهة عريضة عالية .. وشارب كبير .

ورايت فى يده مايشبه العصا.. ولكنه ماكاد يضعها فوق حافة النافذة حتى صدر عنها رنين يشبه رنين المعادن .

واخرج الرجل من جيبه شيئا لم استطع ان اتبينه .. وصرف بضع دقائق فى ادخال هذا الشىء فى العصا .

وركع علي ركبتيه .. وامسك باحد طرفى العصا .. وسدد الطرف الآخر الي الدمية .. ثم سمعت صوتا يشبه اطلاق الزئير المخيف .

وفى التو ادركت ان العصا ان هي الا بندقية من طراز خاص تستعمل لغرضين .. الاول للتوكؤ عليها .. والثاني للدفاع عن النفس .

وسمعت صوت ارتطام شىء بزجاج نافذة هولمز .. وتحطم الزجاج محدثا جلبة شديدة .

ووثب الرجل واقفا ... وفى اللحظة عينها وثب هولمز فوقه كالنمر .. والقاه فوق وجهه ..
ولكن الرجل كان قوى البنية برغم تقدمه فى السن .. اذ مالبث ان نهض واقفا .. وقبض علي عنـق هولمز .. .. ولكني عاجلته بلطمة قوية من مقبض مسـدسى فوق مؤخر رأسه فسقط ثانية فوق الارض .
وجثمت فوقه لاشل حركته تماما .. بينما اخرج هولمز صفارة من جيبه .. نفخ فيها ثلاث مرات .
وفجأة سمعت وقع اقدام مهرولة فوق افريز الشارع. وان هي الا هنيهة حتي اندفع الي داخل الغرفة رجلان من رجال البوليس . وثالث بملابس ملكية .
وهتف هولمز : اهذا انت يالستراد ؟.
ـ نعم يامستر هولمز . لقـد آثرت ان اضـطلع بالمهمة شـخصيا . وانه لمن دواعي سرورى ان اراك مرة اخـرى فى لندن .
ـ انك ستشعر بحاجتك الي معونة غير رسمية . فقد ارتكبت ثلاث جنايات غامضة فى عام واحد يالستراد .. ولكني لاأغمطك حقك. فاني اعترف بأنك تصرفت فى قضية مولسى تصرفا معقولا .
احاط الكونستابلان بالاسير . وكان يتنفس بصـعوبة . بينما بدا بعض عابرى السبيل يتكأكأون حـول المنزل . مدفوعين بحب الاستطلاع . فتقدم هولمز من النافذة واغلقها على حين اخرج لستراد شمعتين من جيبه . واضاءهما . فاستطعت على ضوئهما أن ارى ملامح وجه الاسير بوضوح كان وجها شريرا مطبوعا على الغدر . وظل يتطلع الينا بحقد وموجدة .. ثم قال لهولمز بغضب شديد :
ـ ايها الشيطان !! انك لشديد الدهاء .
فأجاب هولمز وهو يصلح من ربطة عنقه :

ـ آه !. ايها الكولونيل .. ان مصير العاشقين ان يتلاقيا بعد الفراق الطويل. اليس هذا مايقوله المثل القديم ! لست اذكر انني حظيت بشرف مقابلتك منذ لقائنا الفريد عند شلالات ريشنباخ ..

فأطال الكولونيل النظر الي وجه صديقي . ثم غمغم من بين اسنانه : يالك من شيطان !! يالك من شيطان .

فقال هولمز : آه ؟ لقد كادت دقة الموقف ان تنسيني واجبات اللياقة . فدعوني اقدمه لكم .. ايها السادة هذا هو الكولونيل سباستيان موران الضابط سابقابجيش صاحبة الجلالة فى الهند .. وابرع الرماة فى الامبراطورية الشرقية على الاطلاق . اظن اننى على حق حين اقول ان احكامك التصويب علي جانب من الدقة .

فلم يجب الكهل .. وانما تلفت حوله كالنمر الحبيس . ثم زمجر غاضبا . وهم بالانقضاض علي صديقي . ولكن الكونستابلين حالا بينه وبين غرضه . فأذعن مرغما .

قال هولمز : اعترف لك بأنك استطعت ان تفاجئني الليلة بما لم اكن اتوقعه .. ذلك انه لم يدر بخلدى انك ستستعمل هذا المنزل الخالي . وتلك النافذة بالذات . فقد ظننت انك ستنفذ خطتك وانت واقف فىعرض الطريق حيث كان صديقي لستراد ورفيقاه فى انتظارك .. وفيما عدا ذلك سارت خطتي فى الطريق الذى رسمته لها من قبل

فتحول الكولونيل موران الي لستراد . وقال :

ـ قد يكون ، وقد لايكون لديك من الاسباب مايخولك القبض علي . ولكني ارفض بكل شدة ان اصغي لهذيان هذا الرجل المعتوه . فاذا كنت ترى الا تطلق سراحي .. فلتقم بواجبك اذن فى الحال .

فأجاب لستراد : هنالك اسباب كثيرة وجيهة تحتم القبض عليك .

وتحول الي هولمز وساله :
ـ هل لديك ماتقوله قبل ان تنصرف يامستر هولمز ؟
وكان هولمز قد التقط البندقية الهوائية من فوق الارض .. واخذ يفحصها بعناية شديدة .. فقال :
ـ ياله من سلاح فريد فى نوعه . انه لايحدث صـوتا مزعجا . ولكنه اشد اثرا من افتك الاسلحة . اني اعرف ان فون هردر الميكانيكي الالماني وضع تصميم هذه البندقية بناء على طلب المرحـوم الاستاذ مورياتي . وكنت اعـلم بوجود هذه البندقية منذ عدة اعوام . ولو انه لم تتح لي فرصة فحصها او اختبارها .. اني انصحك بالاهتمام بهذه البندقية يالستراد .. وكذلك الرصاص الخاص بهـا .
فأجاب لستراد وهو يتحرك ورفاقه صوب الباب :
ـ ثق انني سأفعل ذلك يامستر هولمز . هل من شيء آخر ؟
ـ فقط اريد ان اسألك ماهو الاتهام الذى تفضـل ان توجهه الي المجرم ؟.
ـ اى اتهام ياسيدى ؟ هناك اتهام واحد يمكن توجيهه الي المتهم . وذلك هو الشروع فى قتل شرلوك هولمز .
ـ كلا يالستراد. انني لا اريد ان يظهر اسمي فى القضية علي الاطلاق. بل يجب ان يعزى اليك وحدك شرف القبض علي الكولونيل موران .. نعم يالستراد. اني اهنئك !. لانك استطعت بدهائك وسعة حيلتك ان تقبض علي مجـرم من كبار المجـرمين الذين عرفتهم القـارة الاوربية فى ربع القرن الاخير .
ـ اى مجرم تعني يامستر هولمز ؟ .
ـ الرجل الذى يبحث عنه عبثا جميع افراد البوليس. الكولونيل سباستيان موران. قاتل الاونورابل رونالد ادير.
ففغر لستر فـاه دهشـة . وحملق فى وجـه هولمز . واستطرد هذا قائلا :

ـ لقد قتل الكولونيل موران المرحوم رونالد ادير برصاصة متفجرة اطلقها من بندقية هوائية من خلال نافذة مفتوحة فى الطابق الثاني من المنزل رقم ٤٢٧ ببارك لين .. فى اليوم الثلاثين من الشهر المنصرم . ذلك هو الاتهام يالستراد .. والان هلم بنا ياوطسن .

***

احتوتنا معا غرف هولمز المألوفة من جديد بعد غيبة طالت الي سنوات .

وكانت نظرة واحدة الي غرفة مكتب صديقي كافية لان تدلني علي ان ميكروفت هولمز ومسز هدسون بذلا عناية كبيرة فى الاحتفاظ بكل شيء علي حاله .

وعندما دلفنا الي الغرفة استقبلتنا مسز هدسون باسمة .. ومدت يدها الي مصافحة .

وتطلعت الي الدمية العجيبة باهتمام شـديد . فالفيتها مصنوعة من الشمع كما قال هولمز .. ولا تختلف فى شيء عن هولمز نفسه . فلم اتمالك من ابداء اعجابي بدقة صانعها وعبقريته .

كانت الدمية مثبتة فوق منضدة صغيرة . وقد تدثرت بمعطف منزلي عتيق اعتاد صديقي هولمز ان يستعمله كلما خلا الي نفسه .

وقال هولمز لمدبرة منزله :

ـ ارجو ان تكوني قد اتخذت كل اسباب الحيطة التي ذكرتها لك يامسز هدسون ؟

ـ لقد كنت اقترب من التمثال زحفا علي ركبتي ياسيدى

ـ بديع . لقد لعبت دورك ببراعة تستحق الاعجاب . هل لاحظت موضع الاصابة فى الدمية ..

ـ نعم ياسيدى .. يؤسـفني ان اقول انها شـوهت صورتك الجميلة التي توليها كل اعزازك فقد نفذت الرصاصة

من راس الدمية . وارتطمت بالصورة . ثم سقطت فوق السجادة .. واليك هي ياسيدى .!

وتقدم هولمز الرصاصة الي . وقال :

ـ انها رصاصة مسدس صغير كما ترى ياهولمز . ولعمرى ان هذا الميكانيكي الالماني الاعمي لرجل بارع . من كان يدور بخلده ان مثل هذه الرصاصة يمكن ان تطلق من بندقية هوائية ؟ حسنا يامسز هدسون . اني شاكر لك معونتك القيمة . والان هل لك فى الجلوس فوق مقعدك الاثرى ياوطسون .. فما زالت هناك بضع مسائل نريد ان نجاوها معا .

وخلع هولمز معطفه . وتجرد من كل وسائل التنكر .. وتقمص شخصيته الحقيقية مرة اخرى .

واخذ مجلسه فبالتي وقال :

ـ ان الكولونيل موران لم يفقد بعد دقة التصويب .. ولا قوة الابصار .

ونهض واقفا . وتقدم من التمثال . وفحصه . ثم قهقه ضاحكا . وقال :

ـ لقد نفذت الرصاصة من منتصف مؤخر الراس .. ومزقت المخ. ولكن لاعجب . فقد كان الكولونيل سباستيان موران امهر رام فى الهند. واحسب انه ابرع الرماة فى لندن ايضا . هل سمعت باسمه من قبل ياوطسن ؟

ـ كلا .. للاسف الشديد .

ـ حسنا . هذه هي الشهرة !! لكنك لم تسمع ايضا عن الاستاذ موريانى . وقد كان ذا عقل جبار وارادة من حديد . هل لك ان تعطيني فهرس التراجم من فوق الرف؟

واخذ هولمز يقلب صفحات المجلد بكسل وتراخ.. ومال الي الخلف فى مقعده .. وراح ينفث سحب الدخان وقد

ازم الصمت هنية .. كأنما ليستجمع شوارده .. واخيرا قال :

ـ ان مجموعة الاسماء التي اعرفها والتي تبدا بحرف (الميم) مجموعة مدهشـــة .. ويكفي اسم موریاتي لكي يجعل لاى حرف اهمية خاصة عن باقى الحروف .. آه .. هو ذا مورجان السجين .. وميرديو الرجـل الذى يملك اقوى ذاكرة فى العالم .. وماثيو الذى كانت لنا معه جولة لاتنسى .. واخيرا .. هو ذا صديق الليلة .

وقدم الي الكتاب . فقرأت عليه مايلي :

« الكولونيل سباستيان موران .. متعطل .. ولد فى لندن عام ١٨٤٠ ، وهو ابن السـير اغسطس موران وزير انجلترا المفوض فى فارس سابقا .. تلقي علومه فى جامعتي ايتون واكسفورد .. واشترك فى حملة بلاد الافغان . ومن مؤلفاته كتاب (ثلاثة شهور فى الغاب) وكتاب (الحياة فى جبال هملايا) .. وعنوانه الحالي شارع كوندويت.. وهو عضو فى اندية الانجلو ـ انديان وتانكرفيل. وباجاتل للورق.

وفوق الهامش كتب هولمز بخطه الدقيـق : « انه ثانى رجل خطر فى لندن » .

قلت وانا اعيد السفر الي هولمز : هذه ترجمةحياة غريبة .. فان سيرة الرجل تدل علي انه قضىحياته شريفا محترما.

ـ هذا صحيح .. ولكنه لزم طريق الشرف الي نقطـة معينة . انه كان ابدا رجلا ذا اعصاب من حديد . ومازالت قصة مهاجمته لنمر جريح تدور علي الالسنة فى الهند .. الا تعلم ياعزيزى وطسن ان هناك بعض الاشجار تنمو الي ارتفاع معين ثم تتطور فجأة فيتشوه جمالها ؟! ان هـــذه النظرية تنطبق علي الطبيعة البشرية ايضا.. فطالما لاحظت ان بعض الناس يشـــبون مستمسـكين بأسباب الشرف والفضيلة الي ان يبلغوا حدا معينا ، وعندئذ ينقلبون ،

فاما ان يستمروا فى الطريق الذى شبوا عليه او ان يتحولوا عنه نجاة الي طـــريق الرذيلة والشر .. واكبر ظني ان مرجع هذا التحول يكون عادة وراثيا .

ـ انك ياعزيزى هولمز رجل خصب الخيال .

ـ اني لا اصر علي هذا القول كقاعدة مسلم بها.. ولكني مع ذلك اقرر ان هذه حقائق لمستها ابان حياتي .. مهما يكن .. فقد ظل الكولونيـــل موران ملازما طريق الشرف والاستقامة الي ان بلغ حـــد التحول فانقلب شريرا .. ولما ادرك ان الهنـــد لاتصلح لاعماله الشريرة ، اعتزل منصبه ونزح الي لندن .. واقام فيها مسرح جرائمه .

ونفث هولمز الدخان من فمه .. ثم استطرد :

ـ التقي الاستاذ موريارتي بالكولونيـــــل موران فى تلك الفترة .. اى فى فترة التحول .. وكان الكولونيل رئيسا للاستاذ فى جيش الهند .. ولكنه كان يفوقه دهاء وخبرة فى عالم الاجرام .. فاستطاع ان يقتنصه ببراعة .. ولما كان الكولونيل معدما فقد اخذ الاستاذ يمده بالمال بسخاء.. ثم استخدمه فى تنفيذ خطتين كان قد دبرهما لبعض اعضاء الطبقة العـــــالية .. فاتمهما الكولونيل بنجاح لم يكن ليؤتاه اى مجرم عادى .

وللمرة الثانية توقف هولمز فى حديثه .. ريثما يشعل غليونه .. ثم اردف :

ـ هل تذكر قضية مصرع مسز ستيوارت فى لودر عام ١٨٨٧ ؟ آه ! لا تذكر ! حسنا .. اني واثق من ان موران كان يعمل من وراء ستار فى هذه القضية .. ولكن البوليس عجز عن اثبات ادانته .. فقد حرص الكولونيل علي اخفاء شخصيته وحركاته ببراعة تستحق الاعجاب .. حتي اننا عندما قضينا علي عصابة الاستاذ موريارتي ، لم نستطع ان

توجه للكولونيل اى اتهام .. لاننا لم نكن نملك الدليل على ادانته

اما لك تذكر يا عزيزى وطسن انني يوم جئت لمقابلتك في منزلك حرصت علي ان اغلق نوافذ الغرفة باحكام خوفا من البنادق الهوائية ؟ لا ريب انك حسبتني يومئذ رجلا انقاد وراء الخيال والوهم ، ولكني كنت مطمئنا الي ضرورة الاحتياطات التي اتخذها ، اذ كنت علي علم بوجود هذه البندقية ، كما كنت اعلم ان حاملها رجل من ابرع رماة العالم . ولما سافرنا الي سويسرا تبعنا لوران والاستاذ ايضا ، وما من ريب فى انه كان ذلك الرجل الجهنمي الذى هاجمني عند شلالات ريشنباخ

قطعت علينا مسز هدسون الحديث فى تلك اللحظة ، اذ اقبلت تحمل لنا صفحة فوقها قدحان من الشاى. فشكرها هولمز ثم صرفها

واستأنف هولمز سرد قصته . قال : عندما كنت مختفيا عن الانظار فى فرنسا كنت اطالع جميع الصحف باهتمام وعناية شديدة . متتبعا انباء غريمي . مؤملا ان تتاح لي فرصة هجومه . ذلك اني كنت اعتقد انه طالما كان الامين مطلق السراح فى لندن فان حياتي تظل ابدا مهددة بخطر جسيم .

وظل شبح الكولونيل يقضني ليل نهار .. حتي اعتقدت فى النهاية ان الرجل سيظفر بي حتما فى لحظة لا اكون مستعدا للقائه فيها . فما العمل ؟ لم يكن فى استطاعتي ان ارديه قتيلا بطلق نارى .. والا انقلب الموقف راسا علي عقب .. وزججت انا فى السجن . وفى مثل هذه الحالة يستحيل علي أن اقنع المحققين انني فعلت ذلك دفاعا عن نفسي

وهكذا سقط فى يدى . وتولتني الحيرة .. ولكني مع

ذلك لم ان عن مراقبة المجرم وتتبع انبائه اولا باول . وانا امني النفس بسنوح فرصة تمكنني من القضاء عليه الي ان جاء حادث مصرع رونالد ادير .. فادركت ان الفرصة التي طالما ترقبتها قد سنحت اخيرا .

ذلك انه لما كان الاستاذ مورياتي قد اختفي من عالم الوجود . فقد اصبح اذن بريئا من دم القتيل . ولم يعد هناك اذن من يستطيع ارتكاب هذه الجريمة غير الكولونيل موران .. لانه الوحيد الذى يملك بندقية هوائية ! ثم ان ظروف الحادث قوت شكوكي فى امره . فقد طالعت فى الصحف ان الكولونيل كان يلعب الورق مع رونالد . واستنتجت انه تبعه من النادى الي منزله . ثم اطلق عليه الرصاص من خلال النافذة المفتوحة .

اخذت اقلب وجوه الرأى . فلم اجد تعليلا مقبولا لهذا الحادث غير هذا التعليل . وكان وصف الرصاصة التي اصابت رونالد اكبر دليل معززا لصدق نظريتي .. ومن ثم شددت الرحال الي هنا وتعمدت ان يراني الرجل الذى تركه موران لمراقبتي وانا واثق من انه سينهي اليه نبأ عودتي

كنت واثقا من ان موران سيعزو عودتي المفاجئة الي باعثها الحقيقي . فينتابه الذعر ويقدم علي قتاي بغير ابطاء او توان . ولم يساورني الشك فى انه سيستعين بالبندقية الهوائية الفتاكة فى محاولته .. ومن ثم رسمت الخطة التي اشتركت معي فى تنفيذها واتصلت بلستراد وقلت له انني قد اكون بحاجة الي خدماته ، ولو اني لم اكاشفه بالحقيقة كلها . وبهذه المناسبة ، لقد برهنت علي حذق وبراعة جديرين بالاعجاب ياعزيزى وطسن . اذ انك ارتبت فى موران وشريكه بمجرد رؤيتك اياهما .

علي ان نقطة واحدة كادت تقلب خطتي راسا علي عقب وهي انه لم يدر بخلدى ان موران سيتخذ المكان الذى

استعماله انا للمراقبة كنقطة للهجوم . ولو افلح موران
الافلات منا .. لما استطعنا القبض عليه . او بعبارة اص
لما استطعنا اثبات ادانته.

تلك هي القصة كلها يا عزيزى وطسن . فهل من شي
تريد ان تستوضحني بشأنه ؟

فاجبت : نعم . انك لم تبين لي بعد الدافع الذى حمل
موران علي الفتك بالاونورابل رونالد ادير

ـ آه ! اني لا اعرف السبب فى الواقع ولكني استنتجته

ـ اذن حدثني به .

ـ الواقع انه ليس من المتعذر ايضاح الحقائق . لقدظهر
من التحقيق ان الكولونيل موران ورونالد ادير ربحا معا
مبلغا كبيرا من المال اثناء اللعب . ولا ريب عندى ان موران
لم يسلك مع الشاب سبيل الشرف . او انه لم يسلك هذا
السبيل فى اللعب . ويغلب على ظنى ان رونالد اكتشف
هذا يوم مصرعه . وادرك ان الكولونيل يتخذ طريق الغش
ومن المحتمل جدا انه هدده باعلان مسلكه علي الملأ اذا لم
يبادر بالاستقالة من عضوية النادى ، والتعهد بالا يلعب
الورق مرة اخرى .. علي انه من المعقول جدا ان رونالد
انما قصد الي ارهاب موران فقط ، ولم يدر بخلده ان يسئ
الي رجل معروف . واكبر منه سنا .. ولو ان موران لم
يدرك هذه النية .. ولما كانت استقالته من النادى معناها
خرابه وافلاسه .. لانه كان يعيش من المال الذى يربحه
بالغش من المقامرة .. فقد دفعه اليأس الي قتل ادير ..
فى اللحظة التي كان الشاب يحصي فيها المبالغ التي يتعين
عليه ان يعيدها الي اصحابها بعد ان وثق من ان شريكه
ربحها من طريق غير مشروع .

وكان رونالد قد اغلق الباب قبل ان يبدا عملية الاحص

خصبة ان تفاجئه امه واخته وتصرا علي معرفة سر كتابة هذه الاسماء والارقام .

ترى هل هذه النظرية مقبولة فى عينيك يا وطسن ؟

ـ لا ريب عندى انك اصبت كبد الحقيقة .

ـ سوف يظهر التحقيق صوابها من خطئها .. وفى كلتا الحالتين . استرحنا نهائيا من الكولونيل موران .. واما البندقية الهوائية فستضم الي متحف سكتلانديارد

وهز هولمز راسه . ثم ابتسم وقال :

ـ هانذا اعود مرة اخرى ! لاستانف نشاطي بعد هذه الغيبة الطويلة !

القسم الثاني

المتهم البرىء ..

حدثني صديقي هولمز قائلا :

ـ ان مدينة لندن تبدو بغيضة فى عيني البحاثة الجنائي بعد ان اختفي الاستاذ موريارتي من عالم الوجود .

فاجبته : لا اظن انك ستجد فيها بضعة من المواطنين العقلاء يقرونك علي هذا الراى يا عزيزى هولمز ..

فابتسم . ودفع مقعده الي الخلف مبتعدا عن المائدة . ثم قال :

ـ حسنا .. ينبغي الا اكون انانيا . علي كل حال انا لا اقصد من هذا الا ان وجود الاستاذ موريارتي علي قيد الحياة كان من اعظم محفز البحث والاستقراء .. فكثيرا ما اطلعت علي الصحف خلال حياته بانباء وان كانت تبدو من البساطة بمكان الا انني كنت اتبين فيها اصبع موريارتي الداهية .. وطالما تكشفت عن حوادث خطيرة . اما الان .

وهز هولمز كتفيه . وسكت .

***

كانت قد مضت عدة شهور على عودة شرلوك هولمز .. واستأنف نشاطه القديم .. واضطررت ان اشاطره ابحاثه وتحقيقاته ، فبعت عيادتي لطبيب ناشيء بثمن لم اكن احلم به .. ولكني اكتشفت فيما بعد ان هذا الطبيب من اقرباء هولمز .. وان صديقي امده بالمال الذى دفعه لي .



وغاص هولمز فى مقعده والتقط احدى صحف الصباح .. وجعل يقلب صفحاتها فى ضجر وسأم ..

وفجأة .. مزق السكون رنين الباب الخارجي .. وما كادت مدبرة المنزل تفتحه حتي اندفع الى الغرفة شاب ممتقع الوجه . تتجلي على وجهه دلائل الفزع .

وقلب القادم بصره بيننا .. فلما رأى هولمز يرمقه بنظرة دهشة واستفسار . صاح قائلا :

ـ انى جد آسف يا مستر هولمز . ينبغي الا تلومنى على تصرفى الشاذ . فانا فى الحقيقة شبه مجنون . اني ادعي جون هكتور ماكفرلين التعس .

نطق الشاب باسمه فى لهجة تمثيلية كأنما حسب ان ذكر الاسم يكفي لايضاح سبب زيارته ، وباعثه على هذا السلوك غير اللائق .. ولكني لاحظت من هيئة هولمز انه فهم من حالة الشاب اكثر مما فهمت .

قال هولمز وهو يقدم علبة لفائف التبغ اليه : هل لك فى لفافة يا مستر ماكفرلين ؟ !

فتقبل الشاب اللفافة شاكرا .. واشعلها .. واستطرد هولمز

ـ اذا كنت قد تمالكت روعك يا صديقي .. فانه يسرني ان تجلس فوق هذا المقعد ، وتحدثنا بدقة وتفصيل عن خطبك .. لقد ذكرت لي اسمك كما لو كنا قد التقينا قبل الآن .. ولكني أؤكد لك انني لا اعلم عنك اكثر من انك اعزب ، تحترف المحاماة ومن انصار الماسونية .. ومصاب بمرض الربو

لم يتعذر علي ان الم بالكيفية التي استنتج بها صديقي كل هذه الملاحظات .. فقد كنت خبيرا بوسائل الاستنباط التي راجا اليها عندما يتأمل رجلا غريبا عنه .. ولكن زائرنا لم يكن قد اتصل بهولمز من قبل .. وعرف عنه مثلما عرفت .. فراح يحدق في وجهه في دهشة وذهول .

وغمغم قائلا : اني لكذلك يا مستر هولمز .. وفوق هذا فاني اتعس رجل في لندن الان .. فبحق السماء لا تصرفني يا سيدى ! فلو جاءوا للقبض علي قبل ان افرغ من سرد قصتي فسأكون من الهالكين .. اتوسل اليك ان تعمل علي اقناعهم بأن يدعوني افرغ ما في جعبتي .. ثم ليذهبوا بي الي السجن بعد ذلك .. فانني ان اخشاه وانت من ورائي تشد ازرى .. وتعمل لنجاتي ..

فهتف هولمز : يذهبون بك الي السجن ؟! حقا ان حديثك مشوق يا صديقي .. وما التهمة الموجهة اليك ؟

ـ انهم يتهمونني بقتل مستر جوناس اولداكر المقيم في نوروود

فنم وجه صديقي عن عطفه علي الشاب .. وقال :

ـ يا الهي . لقد كنت اقول لصديقي وطسن منذ لحظات ان القضايا المثيرة قد اختفت من عالم الوجود

فمد زائرنا يده المرتعشة والتقط صحيفة الديلي تلغراف من فوق ركبتي هولمز .. وقال :

ـ لو انك القيت نظرة علي هذه الصحيفة ، لعرفت في التو المهمة التي جئت اليك من اجلها يا سيدى .. فانه ليخيل الي ان اسمي ، ونكبتي ، قد اصبحتا حديثا مشاعا علي الافواه

وقلب الشاب الصفحات .. ثم قال : اه ها هي القصة .. ارجو ان تسمح لي بقراءتها .. اصغ الي هذا يا مستر هولمز .. هو ذا العنوان : جناية غامضة في نوروود ..

احتفاء مقاول مبان مشهور .. البوليس يرتاب في وقوع جريمة قتل ، وجريمة احراق عمدا .. العثور علي دليل يفصح عن القاتل .

وتمهل الشاب ريثما يلتقط انفاسه .. ثم استطرد :

ـ ان الاثر الذى يتحدثون عنه يا مستر هولمز يشير الي .. وانا اعلم ان احد رجال البوليس كان يتعقبني من محطة لندن بريدج الي هنا .. وفوق ذلك انا واثق من انهم لم يتركوني مطلق السراح حتي الان الا لانهم ينتظرون صدور امر بالقبض علي .. يا للسماء ! ان هذه النكبة خليقة بتحطيم حياة امي !!

وضرب الشاب كفابكف فى اسى ووجيعة .. وراح يتمايل فى مقعده كالملسوع .

وقد رحت اتأمله باهتمام .. فالفيته جذاب الملامح .. ازرق العينين ، حليق الوجه ، له فم دقيق يدل علي شدة الحساسية .. ويتراوح عمره بين الخامسة والعشرين والسابعة والعشرين .

وكانت تبرز من جيب معطفه ربطة من الاوراق تدل علي حرفته

قال هولمز : ينبغي اذن الا نضيع الوقت القصير الذى نملكه فيما لا يجدى .. هلا القيت نظرة علي الصحيفة يا وطسن ؟

فالتقطتها .. وقرات العنوانات التي سبقني الشاب الي تلاوتها .. ثم شرعت اقرا القصة وكانت كالاتي :

« فى ساعة متاخرة من ليلة امس او فى ساعة مبكرة من هذا الصباح ، وقع حادث فى نوروود يخشى ان يدل علي حدوث جريمة قتل .. كان مستر جوناس اولداكر رجلا معروفا فى هذا الحي كمقاول مبان منذ اعوام طويلة .. وهو اعزب ، فى الخامسة والخمسين من عمره ، ويقيم فى ديب

دين هاوس الواقع عند نهاية شارع سيدنهام .. وقد عرف عنه انه رجل شاذ فى عاداته واطـواره .. يحيط نفسـه بالغموض .. ويحب الوحـــدة والعزلة .. وقـد اعتزل اعماله منذ عدة اعوام .. بعد ان جمع لنفسه ثروة كبيرة .. ومع ذلك فما زالت توجد فى مؤخرة منزله .. حظيرة اخشاب .. وحدث عند منتصف ليلة امس ان شبت النار فى احد اكوام الخشب .. فاستدعي رجـال المطـافىء .. ولكن الخشب الجاف كان سريع الاحتراق ، فلم يتمكن رجال المطافىء من حصر الحريق حتي كانت النار قد الت علي الخشب كله .

« الي هنا كان الحـادث يوحي بأنه حادث عـادى .. ولكن ثم اسباب جدت تبعث علي الظن بأن فى الامر جريمة خطيرة ، فقد تبين ان رب الـدار متغيب عـن منزله .. واسفر فحص غرفته الخاصة علي انه لم يأو الي فراشـه .. وعثر البوليس علي خزانته مفتوحة .. كما وجد عدة وثائق هامة مبعثرة فى الغرفة .

« علي ان البوليس لم يهتم بكل هذا بقدر ما اهتم ببعض اثار دلته علي ان معركة دامية قد نشبت فى هذه الغـرفة .. فقد وجد بضع نقط من دماء خفيفة . وعصا من البلوط فوق مقبضها بقع من الدم .. والمعروف ان مستر جوناس اولداكر استقبل زائرا فى غرفة نومه فى ساعة متاخرة من ليلة امس .. واتضح ان العصا المذكورة تخص هذا الزائر وهو محام شاب من لندن يدعي جون هكتور ماكفرلين .. الشريك الاصغر فى مؤسسة جـراهام وماكفرلين بعمـارة جريشام رقم ٤٢٦

« ويعتقد رجال البوليس ان الادلة التي بين ايديهم كفيلة بايضاح الدافع للشاب علي ارتكاب الجريمة .. والمفهـوم ان الحادث سيتطور تطورا سريعا مثيرا فى خلال الساعات

القلائل القادمة » .

حاشية : عند منول الجريدة للطبع اشيع ان مستر جون هكتور ماكفرلين قد قبض عليه فعلا بتهمة قتل مستر جوناس اولداكر .. علي انه من المؤكد ان امرا قد استصدر بالقبض عليه فقد حدثت تطورات جديدة مؤلمة فى تحقيق الحادث .. فالي جانب آثار المعركة التي نشبت فى غرفة نوم المقاول التعس ، وجد باب شرفةهذه الغرفة « وموقعها فى الطابق الارضى » مفتوحا كما وجدت بضعة ادلة تشير الي ان جسما ضخما قد جذب نحو الاخشاب .. واخيرا .. تأيد ان بقايا متفحمة قد وجدت بقايا الخشب المحترق والمتخلف من الحريق . ومن راى البوليس ان ثم جريمة مروعة قد ارتكبت ، وان القتيل ضرب ضربا مبرحا حتي فاضت روحه ونشرت اوراقه .. ثم جذبت جثته الي الاخشاب التي اضرمت فيها النار بعد ذلك بطريقة تخفي كل اثار الجريمة وقد تولي المفتش النشيط لستراد تحقيق الحادث .. والمأثور عن هذا المفتش انه رجل كفء .. فنأمل ان يوفق عاجلا الي القبض علي القاتل وتقديمه لاعدالة لتقتص منه ما جنت يداه » .



اصغي هولمز لمقال الصحيفة وهو مغمض العينين .. واصابعه تنقر علي مسندى المقعد

فلما فرغت من القراءة .. قال معقبا : حقا ان للقضية بعض اركان تدعو الي الاهتمام . هل لي ان اسالك اولا يا مستر ماكفرلين ، كيف اتفق انك ما زلت مطلق السراح مادامت هناك ادلة كافية لاعتقالك ؟

فاجاب الشاب وهو ينتفض : اني اقيم مع والدتي فى بلاكهيث يا مستر هولمز .. ولكني اضطررت الي قضاء ليلة امس فى احد فنادق نوروود اذ قضيت اغلب الليل

امرف بعض الاعمال مع مستر جوناس اولداكر .. ثم جئت الي مكتبي من هناك راسا .. ولم اكن اعلم شيئا عن الحادث حتي ركبت القطار . واشتريت نسخة من صحيفة الديلي تلغراف . وقرات فيها المقال الذى سمعته الان .

وتمهل الشاب ريثما يشعل لفافة تبغ .. ثم اردف :

ـ وعندئذ ادركت سوء موقفي .. والخطر الذى يتهددني .. فاسرعت بالمجيء اليك .. لاضع نفسى تحت تصرفك انني واثق من انه كان سيقبض علي اما فى مكتبي بالمدينة او فى منزلي .. فقد تبعني رجل لا اشك فى انه من رجال البوليس ، منذ تركت القطار فى محطـة لندن .. ثم .. يا للسماء ! ما هذا ؟!

دق جرس الباب الخارجي .. واعقب رنينه وقع اقدام كثيرة فوق الدرج . وبعد هنيهة ظهر صديقنا « العـزيز » لستراد عند عتبة الباب .

ولمحت من فوق ، كتفه شبح واحد او اثنين من رجال البوليس .

وقال القادم :

ـ تفضل يا مستر جون هكتور ماكفرلين .

فنهض زائرنا التعس واقفا علي قدميه ، وقـد ابيـض وجهه حتي حاكي وجوه الموتي .

ـ اني اقبض عليك بتهمة قتل مستر جوناس اولداكـر المقيم فى نوروود مع سبق الاصرار ..

فتحول ماكفرلين الينا . واليأس يرتسم علي وجهه .. ثم عاد فغاص فى مقعده ثانية .. وقد خارت قواه ..

وتدخل هولمز فى الحديث قائلا : لحظة واحدة يالستراد .. ان انتظار نصف ساعة اخرى لن يؤثر فى موقفك .. لقد كان الشاب علي وشك ان يفضى الينا بتفاصيل هـذا الحادث الطريف وقد نستطيع بمعرفة هذه التفاصيل ان

نرفع النقاب من حقيقة الجريمة .
فقال لستراد باكتئاب :
ـ اكبر ظني اننا لن نجد اية مشقة فى الوقوف علي سر الجريمة يا مستر هولمز .
ـ مهما يكن .. فاني استأذنك فى السماح لي بسماع قصة الشاب .
ـ حسنا يا مستر هولمز .. اني لا املك غير اجابتك الي طلبك .. فانا لا انسي الخدمات التي اديتها للعدالة والتي تستحق عليها كل شكر .. لكني اصر علي ان اظل ملازما لرجلي .. واري من واجبي ان احذره من كل شيء ينطق به قد يستعمل فى الشهادة ضده
فقال الشاب : هذا خير لي .. اني لا اطلب الا ان تسمعوني .
فتطلع لستراد الي ساعته وقال :
ـ سامنحك نصف ساعة لتقول ما عندك
وبدا الشاب يسرد قصته . قال :
ـ اري ان اوضح اولا انني لا اعرف شيئا عن مستر جوناس اولداكر .. صحيح ان اسمه مالوف لدى . لانه كان صديقا لابوى ، ولكنهم ما لبثوا ان افترقوا . ولذا ما كان اشد دهشتي امس عندما جاء مستر اولداكر لزيارتي فى مكتبي امس حوالي الساعة الثالثة بعد الظهر
وقد زادت دهشتي عندما انهي الي سبب زيارته
وكان يحمل بضع اوراق تحت ابطه .. وجميعها مكتوبة بخط يده .
واخرج الشاب حزمةمن الاوراق . وضعها فوق المنضدة وهو يقول : ها هي
ثم استطرد : قال لي زائرى « الىك وصيتي . اني اريدك علي ان تتخذ حيالها الاجراءات القانونية يا مستر ماكفرلين

- ابواس هنا حتى تتم هذه المهمة ،

تشمرت عن ساعدي . وبدات في نسخها .. ولعلكم تستطيعون تقدير مدى دهشتي عندما قرات انه ترك لي كل املاكه الا القليل منها .

كان مستر جوناس اولداكر رجلا ضئيل الجسم . يبدو في هيئته (كابن عرس) .. وقد ابيض حاجباه . فلما تطلعت اليه . الفيته ينظر الى بانعام واهتمام شديدين

لم اكد اصدق عيني وانا اقرا شروط الوصية . ولكنه راح يوضح لي سر تصرفه .. فقال انه رجل اعزب . ليس له اقارب . ولما كان يعرف ابوي منذ عهد الشباب . وسمع منهما انني شاب كفء .. اطمأن الى انه سيترك املاكه بين يدي من هو اهل للمحافظة عليها وتنميتها .

لم يسعني الا ان أعرب له عن شكري على هذا الكـــرم الفريد . واستأنفت نسخ الوصية حتى اتممتها .. ووقعها وشهد كاتبي بصحتها .

واشار الشاب الى احدى الوثائق . وقال :

- ان الوصية مسجلة فوق هذه الوثيقة الزرقاء . واما بقيتها فتحمل مسودة هذه الوصية كما سبق أن اوضحته

قال لي مستر جوناس اولداكر بعدئذ أن هنـــاك وثائق اخرى .. كحجج منازل ، ووثائق رهونات وما الى ذلك مما لن يشعر براحة البال والاستقرار وحتى يبت في كل شيء ثم توسل الى ان اذهب لزيارته في نوروود في تلك الليلة ، على ان اخذ الوصية معي .. لنتحدث في التفاصيل .

وقال لي : ينبغي الا تذكر كلمة واحدة لابويك عن هـــذه المسالة حتى ينتهي كل شيء .. سوف نحتفظ بسريةعملنا ، لنجعل لهما منه مفاجاة طريفة في الوقت المناسب

وقد اصر زائري على هذا الراى .. ولم يتركني الا بعد ان انتزع مني وعدا بالكتمان التام .

وفى استطاعتك ان تتصور يامستر هولمز ان رجلا فى مثل موقفى لم يكن ليستطيع ان يرفض لهذا المحسن الكريم رجاء ومن ثم وطدت العزم فيما بينى وبين نفسى على ان احتفظ بكلمتى واكتم السر عن ابوى حتى يسمح لى مستر اولداكر بافشائه

ومن ثم ، بعثت ببرقية الى منزلى قلت فيها ان امامى عملا هاما .. ويستحيل على ان اقول فى اية ساعة من الليل سينتهى هذا العمل

وكان مستر اولداكر قد اعرب لى عن رغبته فى ان اتناول معه طعام العشاء فى الساعة التاسعة مساء ، لانه لن يستطيع العودة الي منزله قبل هذا الموعد .. ولكني لم استطع الاهتداء الى منزله بسهولة فوصلت متأخرا حوالى نصف ساعة عن الموعد المضروب

فقاطعة هولمز قائلا : لحظة واحدة يامستر ماكفرلين .. من الذى فتح لك الباب ؟

ــ امرأة فى منتصف العمر اظنها مدبرة منزله

ــ اظن انها ذكرت اسمك عندما وقع بصرها عليك ؟

ــ اصبت يامستر هولمز .. لقد فعلت ذلك

ــ اذن ارجو ان تستمر

وجفف مستر ماكفرلين العـرق الذى كان ينثال فوق جبهته .. ثم استأنف سرد قصته

قال : ادخلتنى هذه المراة الى غرفة الجلوس حيث كان عشاء فاخرا موضوعا فوق منضدة كبيرة .. وبعد ان تناولنا الطعام .. ذهب بى مســــتر اولداكر الى غرفة نومه .. وكانت بها خزانة ضخمة ، فتحها . واخرج من جوفها حزمة كبيرة من الوثائق .. بدانا نفحصها معا .

، فرغنا من دراسة هذه الوثائق بين الساعة الحادية عشرة ومنتصف الليل .. وعندما تأهبت للانصراف .. قال مضيفي

انه ينبغى الا نزعج مدبرة المنزل .. واخرجنى من باب شرفة غرفة النوم ، وكان مفتوحا طول الوقت

فسأله هولمز : وهل كانت ضلفتاه الخشبيتان مغلقتين ؟

ـ لست واثقا من هذه النقطة ، ولكنى اعتقد انهما كانتا نصف مغلقتين .. نعم .. انى اذكر كيف انه دفعهما الى اعلى ليفتح الباب الزجاجى

ولم استطع ان اعثر على عصاى .. فقال لى رب الدار : لاتكتئب يابنى .. فسوف اراك كثيرا من الان فصاعدا وساحتفظ لك بالعصا حتى تعود الى زيارتى

وودعته .. ثم انصرفت .. تاركا اياه امام الخزانة المفتوحة وكان الوقت متاخرا ، فلم استطع العودة الى بلاكهيث ومن ثم قضيت الليل فى فندق آنرلى ارمز .. ولم اعرف شيئا عن المأساة التى وقعت حتى قرات تفاصيلها فى صحف الصباح ..

وكان لستراد يصغى الى قصة الشاب باهتمام .. فلما فرغ منها ، القى على هولمز هذا السؤال :

ـ هل من شيء آخر تريد ان تسأل مستر ماكفرلين عنه يامستر هولمز ؟

ـ كلا .. ليس لدى الان ما استوضحه بشأنه ، ولكن ربما فعلت ذلك بعد ان اقوم بزيارة بلاكهيث .

فقال لستراد مصححا : لعلك تعنى نوروود ؟

ـ آه !. نعم .. هذا ما اعنيه بغير شك .

وانفرجت شفتا هولمز عن ابتسامة غامضة . وكان لستراد يعرف عن طبيعة هولمز مايكفيه مؤونة الالحاح العقيم او مناقشته فى شيء لن يخرج منه بنتيجة .. لذلك راح ينظر الى صديقى باهتمام وعجب . ثم قال :

ـ اظن انه ينبغي ان اتبادل معك حديثا قصيرا بعد قليل يا مستر شرلوك هولمز .. والان اصغ الي يا مستر

ماكفرلين . يوجد اثنان من رجالي لدى الباب . كما تنتظر امامه مركبة .. فهل لك ان ترافقني ؟

فنهض الشاب التعس عن مقعده . وتطلع الينا بضراعة. ثم غادر الغرفة .

وذهب به رجلا البوليس الي المركبة . بينما بقي لستراد معنا .

وكان هولمز قد التقط الاوراق التي تحتوى على مسودة الوصية . وشرع يتأملها باهتمام شديد . وبعد هنيهة وضعها فوق المنضدة وهو يقول :

ـ هناك بضعة امور بحاجة الى الايضاح فيما يختص بهذه الوثائق .. الا ترى هذا الراى يالستراد ؟

فتطلع اليه لستراد بحيرة وارتباك . ثم قال :

ـ ان فى استطاعتى ان اقرأ السطور القلائل الاولى . وتلك التي فى منتصف الصفحة الثانية . وسطرا او اثنين فى النهاية .. فان هذه جميعا واضحة كوضوح الطباعة .. ولكن الكتابة فيما عدا ذلك سيئة رديئة . وانه ليتعذر علي ان لم يستحل ان اقرأ الوثائق كلها .

فقال هولمز : وما الذى تستنتجه من ذلك ؟

ـ حسنا . ما الذى تستنتجه انت ؟

ـ ان الوصية كتبت فى قطار . لان الكتابة الجيدة تدل على انها سجلت فى محطة .. واما الكتابة الرديئة فتدل علي الحركة . والكتابة الرديئة جدا تشير الى ان القطار كان يمر فوق مفترق القضبان . ولو اعطيت هذه الوثائق لخبير علمى ، لاعلن من فوره ان هذه الوثيقة كتبت والقطار سائر فوق خط فرعى حيث لاتوجد مفارق قضبان كثيرة الا فى الخطوط الرئيسية التى تمتد فى المدن الكبيرة . فاذا فرضنا ان الكاتب قضى الرحلة كلها فى كتابة مسودة الوصية .. فمعنى ذلك ان القطار كان سريعا (اكسبريسا) ولم

يتوقف غير مرة واحدة فيما بين نورورود ولندن .
فاطلق لستراد ضحكة مرحة . وقال : انه ليتعذر علي ان افهم نظرياتك المعقدة يا مستر هولمز لكن ما صلة هذه النظرية بالقضية التي نحن بصددها ؟
ـ انها تؤيد قصة الشاب فيما يتعلق بقوله ان جوناس اولداكر كتب مسودة الوصية اثناء رحلته بالامس .. انها مسالة غريبة فيما ارى . افلا ترى ذلك ياعزيزى لستراد ؟ اليس عجيبا. بل جد عجيب ، ان يكتب انسان وثيقة على هذا الجانب من الاهمية بمثل هـذه الطريقـة العويصـة العجيبة ؟! .. ان هذا التصرف يحمل على الظن بأن الكاتب لم يكن يعتقد ان ستكون لهذه الوثيقة اية اهمية عملية . فاذا كتب انسان وصية لايعتزم مطلقا ان يخرجها الى حيز التنفيذ فلا ضير عليه ان هو انشـاها على المنـوال الذى التحدث عنه . فقال لستراد ساخرا : لقـد كتب الرجـل وثيقة موته بكتابة هذه الوصية .
ـ آه !. اتعتقد ذلك حقا ؟
ـ افلا تشاطرني هذا الراى يامستر شرلوك هولمز ؟
ـ هذا محتمل .. ولو ان القضية مازالت مغلقة فى عينى .
ـ مغلقة ؟! اذا لم تكن هذه القضية واضحة كل الوضوح، فاية قضـية اخـرى يمكن ان تكون كذلك ؟. هانحن امام شاب علم فجأة انه اذا مات كهل معين فانه سيرث ثروته . فماذا يصنع ؟ انه لم يكاشف احدا بأمر الثروة التي هبطت عليه من السماء . وانما اعد العدة كيلا يعود الى منزله فى تلك الليلة . فزعم انه ذاهب لمقابلة احدالعملاء لاعمال هامة .. وتمهل ريثما اوت مدبرة منزل المحسن اليه الى فراشها .. ثم خلا له الجو . فانقض عليه . وقتله ، ثم احرق جثته وسط كتل من الخشب ، وغادر المنزل الى احـد الفنادق القريبة حيث قضى ليلته .. ان بقع الدم الموجودة فى الغرفة

وفوق العصا خفيفة جـدا . ومن المحتمـل انه توهم ان جريمته لن يهرق فيها دم .. وكان يأمل انه باحراق الجثة ينعدم كل دليل يرشد الى الطريقة التى ارتكبت بها الجريمة .. والمقصود هنا بالادلة تلك التى لاتوجه الاتهام اليه .. افلا ترى بعد كل هذا ان الجريمة واضـــحة كل الوضوح ياعزيزى هولمز .

فقال هولمز معقبا : انها لتبدو لى اكثر وضوحا مما يجب ياعزيزى لستراد .. انك لاتتمتع بالخيـال الخصـب الى جانب مواهبك الاخرى الفذة .. فلو استطعت ان تضـع نفسك موضع هذا الشاب لحظة يسـيرة .. فهـل كنت تختار هذه الليلة بالذات ، بعد كتـابة الوصية ، لترتـكب جريمة القتل ؟ اما كان يتبادر الى ذهنك انه من الخطـورة بمكان ان تقرن الحادثين بمثل هذه الصلة الوثيقة . وفوق ذلك .. هل كنت ترتكب الجريمة فى وقت تعرف ان مديرة المنزل تعلم بوجودك اثناءه فى المنزل ؟ واخيرا .. هل كنت تكلف نفسك مشقة اخفاء الجثة بينما تترك عصاك فى المنزل لتكون دليلا قاطعا على انك القـاتل ؟ اعترف ياصـــديقى لستراد بأن هذا كله غير جائز !

ولكن لستراد قال بعناد : إذا كنت ترى ان للعصا قيمة جوهرية فى القضية ياعزيزى هولمز فأنت تعـلم مثـلى ان المجرم يكون فى حالة انفعال شديد وقت ارتكاب الجريمة .. حتى ليقدم على اتيان اعمال يحجم عنها الرجـــل الهادىء المتمالك رباطة جأشه .. ومن المحتمل ان ماكفرلين خشى ان يعود ادراجه الى الغرفة. فآثر ان يترك العصا وانصرف. اليس من نظرية اخرى ياصديقى تنسجم مع الحقـائق التي بين يدينا ؟

فقال هولمز ساخرا : فى استطاعتى ان اقدم لك مالا يقل عن ست نظريات اخرى .. خذ مثلا . وهـذا جائز . بل

ومحتمل الوقوع . وانا اقدم لك هذا الراى بغير مقابل ..
لقد عرض الكهل على وريثه عدة وثائق ذات قيمة ثمينة .
ورآها عابر سبيل من خلال النافذة التي كانت نصف مفتوحة
فلما انصرف ماكفرلين . دخل عابر السبيل الى الغرفة !
وامسك بعصا رآها هناك . وقتل اولداكر . ثم رحل بعد
ان احرق جثته .

ـ ولماذا يحرق عابر السبيل الجثة ؟

ـ ولماذا ايضا يحرقها ماكفرلين ؟

ـ ليخفي الدليل علي ادانته يا عزيزى ..

ـ من الجائز ايضا أن عابر السبيل اراد ان يخفى كل
دليل على وقوع اية جريمة .

ـ ولماذا لم يأخذ عابر السبيل شيئا ؟

ـ لانه عرف ان الوثائق خاصة .. ولن تفيده فى شىء .

فهز لستراد رأسه سلبا . ولكنى لاحظت ان بعض الشك
بدا يساوره فى ثقته بصحة نظريته ووجاهتها .

قال بعد هنيهة : حسنا يا مستر هولمز .. فى استطاعتك
ان تبحث عن عابر السبيل الذى تتحدث عنه .. وفى تلك
الاثناء سأظل انا محتفظا برجلى .. فلنترك للمستقبل اذن
ان يكشف عن الكفة الراجحة فى هذه القضية ، واينا كان
اصدق نظرا .. لكن لاتنس يامستر هولمز خلال ذلك انه
طالما لم يفقد شىء من الوثائق . وطالما ان السجين هو
الشخص الوحيد الذى يهمه الا تضيع او تختفى احدى
هذه الوثائق مادام هو الوريث الشرعى الذى سوف تؤول
اليه الثروة فى جميع الاحوال فان ذلك مما يؤيد صدق
نظريتى من انه فتك بمستر اولداكر ليظفر بالثروة عاجلا
خيل الي كأن صديقى هولمز قد تأثر بهذه النظرية الوجيهة
.. اذ قال :

ـ انى لا انكر ان الادلة تعزز نظريتك من بعض وجوهها

.. ولكنى اريد فقط ان ابين لك ان هنـاك بضع نظـريات اخرى لا تقل عن نظريتك وجاهة ومنطقا .. فلنترك للمستقبل ان يكشف عن الحقيقة كما قلت . طاب صباحك ياصديقي!

وقبل ان يتهيأ لستراد للانصراف ، قال هولمز : يخيل الي انني سأذهب الي نورورود اثناء النهار لاطلع علي مدى تقدمك فى تحقيق هذه القضية الطريفة .

ولما انصرف لستراد .. نهض هولمز واقفا . وبدا يعد نفسه للعمل الذى امامه بنشاط عظيم .

قال وهو يرتدى معطفه الثقيل :

ـ ان اولى خطواتى ينبغى ان توجـه الي بلاكهيث كمـا قلت ياعزيزى وطسن .

ـ ولماذا لاتذهب الي نورورود ؟

ـ ذلك لان هذه القضية تختلف عن سواها فى انها تتشعب الى حادثين على جانب من الغرابة والشذوذ . والبوليس يرتكب خطأ فاحشا بتركيز اهتمامه فى احدهما دون الآخر لالشيء الا لانه يثبت ادانة الشخص الذى يتهمـه .. واما انا فانظر الي القضية من ناحية المنطق .. وهو يقضى بأن اعالج الحادث الاول الذى اهمله البوليس اولا لعـله يلقى ضوءا على الاخر الذى تمخض عن الجريمة ، وبالتالى علي القضية كلها .. والحادث الاول الذى ارمى اليه هو هذه الوصية الغريبة التى كتبت فجأة . ولمصلحة شخص غـير متوقع .. ان الوقوف على سبب هذه التصرفات الشاذة يا عزيزى وطسن ، من شانه ان يبسط ما يتبع ذلك من بحث كلا يا عزيزى لا اظنني سأحتاج الي معونتـك فليس ثم اى خطر يتهددنى ، والا لما دار بخلدى ان اغادر هـذا المنزل بغيرك . وارجو . حين اراك ثانية فى المسـاء ، ان اكون فى موقف يسمح لي بان اقرر لك انني استطعت ان اصنع من

اجل هذا الشاب التعس الذى القى نفســـه بين يدى ..
وسالني العون . شيئا .

***

وعاد هولمز فى ساعة متأخرة من تلك الليـــلة .. ولكنى ماكدت انظر الى وجهه المتعب المتسم بالقلق والاضطراب حتى ادركت ان الامال العريضة التى كان يمنى بها نفسه لم تتحقق .

ولم احاول ان اتعجله فى الحديث .. فتركته يعزف على كمانه زهاء الساعة محاولا ان يهدىء من ثائرته . حتى اذا مل العزف .. وضـــع الكمان جانبـــا .. وبدأ يسرد على تفاصيل رحلته الفاشلة

قال :

ـ لقد سارت الامور على غير ما كنت اشتهي يا وطسن ، انني سفهت نظرية لستراد .. ولكنى بدات الان اعتقد انه على حق فيما قال ، واننا نسير فى طريق خاطىء .. وراء اثر زائف ، ان جميع قواى العاقلة تعمل فى اتجاه واحد. بينما تقف الحقائق كلها فى الاتجاه المضاد . ويؤسفني ان المحلفين البريطانيين لم يؤتوا بعد من قوة البصيرة مايجعلهم يؤمنون بنظريتى ، ولا يعبأون بالحقـــائق التى ســـيضعها لستراد امامهم .

فسألته :

ـ هل ذهبت الي بلاكهيث ؟ ..

ـ نعم ياوطسن .. لقد ذهبت الى هنـــاك . وسرعان ماوضح لى ان المـــاسوف عليه اولداكر كان رجلا شريرا . كان الاب خارج الدار يبحث عن ابنـــه . ولكن الام بقيت بالمنزل . وهى امرأة حادة الطبع ، ذات عينـــين زرقاوين قلقتين .

لقد رفضت بالطبع ان تصرح بأن من المحتمل ان ابنها هو

مرتكب هذه الجريمة البشعة كما انها لم تحاول انتبدي ا
دهش او اسف لقتــل اولداكر . بل بالعـكس . راحـ
تتحدث عنه بمرارة وحقد غير متنبهة الى انها بحديثها هذ
تزيد نظرية البوليس قوة . اذ لو ان ابنها كان قدسمعها و
تتحدث عن اولداكر بمثل هذا الحقد والبغضــاء ، لحمـ
حديثها هذا على بغض الرجل . وبالتالى على الفتك به .
قالت لى :

ـ لقد كان هذا اللعين منذ صغره اشبه شيء بقرد خبيـ
ماكر منه بانسان .

فسألتها :

ـ وهل كنت تعرفينه ابان شبابه ؟

ـ نعم . كانت معرفتى به واثيقة . كان يعجب بى ، او
بعبارة اصح . يحبنى كل الحب . ولكنى اشكر السما
لاننى ابعدته من طريقى فى الوقت المناسب لاتزوج رجلا
افضل ولو انه افقر منه .. لقد كنت مخطوبة لهذا الشقي
يامستر هولمز . واتفق ان سمعت عنه قصة تدل على الغلظة
والخشونة . فقد قيل لى انه اطلق هرة فى قفص طيور .
فتولانى الذعر لهذه الوحشية . وخشيت ان تسوء معاملته
لى فى المستقبل ، ومن ثم قطعت كل علاقة لى به .

وبحثت المرأة فى احد ادراج مكتب عتيق كان فى الغرفة
.. واخرجت منه صورة امرأة قد شوه وجههـا بمدية ،
وقالت :

ـ هذه صورتى يامستر هولمز . لقدْ بعثها الى على هذه
الحال صباح ليلة زفافى .. مصحوبة بلعناته .

فقلت لها :

ـ لاريب انه قد نسـيك الان مادام قد ترك كل ثروته
لابنك .

فصاحت بحدة .. وكبرياء :

ـ لا انا ولا ابنى بحاجة الى شىء من جوناس اولداكر .. ان فى السماء الها يامستر هولمز . وان هذا الاله الذى جازى هذا الرجل الوغد بما يستحق هو نفسه الذى سيظهر فى الوقت المناسب براءة ابنى من دمه .

حاولت بعدئذ ان استدرجها فى الحديث لعلى اظفر منها بشىء يؤيد وجهة نظرى . ولكننى فشلت . فاستأذنتها فى الانصراف ، وانطلقت الي نورووود .

وتوقف صديقى هولمز ريثما يشعل غليونه . ثم استطرد

ـ ان ديب دين هاوس فيلا كبيرة مشيدة من الطوب الاحمر اللامع على الطراز العصرى امامها حديقة بها دغل من اشجار الغاب وعلى يمينها ، الى مسافة قليلة خلف الطريق العام توجد حظيرة الخشب التي شب فيها الحريق .. اليك رسما كروكيا لموقع المنزل ياوطسن . اترى هذه الشرفة التى الى اليسار ؟ انها شرفة غرفة اولداكر . وفى استطاعة الانسان ان يرى مايدور بداخلها وهو واقف فى عرض الطريق .. هذه هى النقطة الوحيدة التى ظفرت بها من طول بحثى سحابة امس .

ولم اجد لستراد هناك .. ولكن احد رجاله رحب بى اجمل ترحيب . وكانوا قد وقعوا علي اثر هام . بعد ان قضوا الصباح كله وهم ينقبون فى بقايا الاخشاب المحترقة . اذ عثروا ، الى جانب البقايا العضوية المحترقة ، على بعض ازرار معدنية لالون لها .. ولم يبخل على مساعد لستراد بفحص هذه الازرار . وخرجت من فحصها بنتيجة واحدة مؤكدة وهى انها ازرار (بنطلون) . بل لقد استطعت ان اقرا فوق واحد منهما اسم « هايمز » وهو خياط اولداكر .

وبعد ذلك انصرفت الى فحص الممر بعناية شديدة باحثا عن علامات او آثار .. ولكن رطوبة الجو قد جعلت كل شىء فى مثل صلابة الحديد . ومن ثم لم اوفق الى وجود او رؤية اى اثر ، فيما عدا ذلك الذى يوحى بان شخصا . او

حزمة كبيرة .. قد جذبت فوق الحشائش الصغيرة الموازية
لكومة الاخشاب .
ان كل هذه الظواهر والحقائق تؤيد نظرية البوليس بغير
شك .. ولكني اثرت ان استمر فى بحثي لعلي اظفر بجديد
غاب عن اعين المحققين فركعت فوق ركبتي غيرعابيء بحرارة
شمس اغسطس المحرقة . وجعلت ازحف فى الممر باحثا
منقبا ... وبعد ان قضيت ما يقرب من الساعة فى هذا
البحث الشاق .. لم اظفر بطائل
وعلى اثر هذا الفشل الذريع . انطلقت الى غرفة النوم
.. وقمت بفحصها ايضا
كانت بقع الدم خفيفة جدا . حتى ليكاد يبدو للرائى انها
مجرد لطخ لا لون لها . ولكنها كانت حديثة العهد بغير شك
.. واما العصا فقد نقلت من موضعها ، ومع ذلك فان الاثار
التى عليها كانت خفيفة ايضا .. على انه لاتوجد ادنى ريبة
فى انها ملك لموكلى فقد اعترف بذلك امامنا صراحة .. وقد
استطعت ان اميز بوضوح اثار اقدام الرجلين فوق السجادة
.. ولكني لم اجد اى اثار لقدمي رجل ثالث . وهذه قرينة
اخرى تؤيد نظرية الجانب الاخر (البوليس) كل التأييد.
انهم يكدسون ادلتهم ضـــده . واما نحن فجـامدون فى
مكاننا لانتحرك .
ولكنى رغم ذلك لم اياس فقد ظفرت بباقة من الامل،
اذ فحصت محتويات الخزانة . وكان معظمها قد اخرج
منها . ووضع فوق المنضـــدة . ومع ان الاوراق كانت
موضوعة داخـل اغلفـة مغلقة . فان البوليس قام بفض
واحد او اثنين منها .. ولكنها ، فيما اعتقد ، ليست بذات
قيمة تذكر . وفوق ذلك .. فان سجل المصرف لايدل على
ان اولداكر يملك ثروة ضخمة .
كانت هنالك تلميحات عن بعض حجج ، يحتمل ان تكون
انفس وثائق الرجل ، ولكنى لم اعثر عليها . فلو استطعت

ان نجد الدليل علي ضياع هذه الوثائق لقلبنا نظرية لستراد راسا على عقب ، اذ كيف يعقل ان رجلا يسرق شيئا يعلم انه سيرثه عما قريب ؟

واخـيرا .. فرغت من بحث كل ركن من اركان المنزل بعناية ودقة دون ان اظفر بدليل آخر يبعث علي الامل .. توليت وجهي شـطر مـدبرة المنزل ... واسـمها مسز لكزنجتون . وهي امراة ضئيلة الجسم ، سمراء اللون ، كثيرة الصمت ظلت تنظر الي من ركن عينها بارتياب

قالت لي انها ما كانت لتضن علي بأية معلومات وصلت اليها من اى طريق .. فقلت لها انني تبينت الصـدق فى لهجتها .. وبرغم انها كانت صموتا . شديدة الصمت .. الا انها صرحت بأنها فتحت الباب الخـارجي ، واستقبلت مستر ماكفرلين فى الساعة التاسعة والنصف .. وكم ودت لو قطعت يداها قبل ان تدخله ! ثم اضافت بانها اوت الي مضجعهـا فى الساعة العـاشرة والنصف ... ولما كانت غرفتها تقع فى الناحية الاخرى من المنزل فانها لم تسـمع شيئا مما حدث ، وقد ترك مستر ماكفرلين قبعته ، وعصاه ايضا فيما تذكر ، فى الردهة .. واما هي فظلت نائمة الي ان سمعت انذارا بشبوب حـريق .. وقالت ان سـيدها العزيز التعس قد قتل بغير شك ، فلما سألتها هل لـه اعداء ؟ قالت ان لكل انسان اعداء .. ولكن مستر اولداكر كان رجلا معتزلا لا يميل الي الخلطة .. ولو انه كان يجتمع بمن تحتم عليه اعماله الاجتماع بهم .. ثم اردفت قائـلة انها رات الازرار ، واعربت عن ثقتها من انها ازرار البنطلون الذى كان مستر اولداكر يرتديه ليلة امس

ومضت مسز لكزنجتون فى سرد معلوماتها ، فقـالت ان الخشب كان شديد الجفاف ، لان السماء لم تمطر منذ شهر تقريبا ، فلما شبت النار راحت تلتهمه بسرعة .. وحـين

وصلت الي البقعة التي اندلعت فيها السنة النيران لم تستطع ان ترى شيئا غير اللهب .. بيد انها ، ورجال المطافيء ايضا قد اشتموا رائحة احتراق لحم منبعثة من داخل الحريق.

وختمت المراة حديثها معي بقولها انها لا تعرف شيئا عن الوثائق .. ولا عن اعمال مستر اولداكر الخاصة

الي هنا تنتهي قصة مدبرة المنزل يا عزيزى وطسن .. وها أنت ترى انني لم اصادف اى نجاح .. ومع ذلك

وكف هولمز عن اتمام عبارته وقبض راحتيه فى عنف دلالة علي فرط غيظه وحنقه .. ثم اردف :

ـ اني اعلم ان هذا كله خطأ .. بل اشعر بذلك شعورا قويا .. فهناك شيء لم يظهر حتي الان .. واني واثق من ان مدبرة المنزل تعرف هذا الشيء ولكنها لا تريد الافضاء به .. لقد تبينت من نظراتها علامات التحدى الصريح

مهما يكن ، فلا جدوى من الكلام فى القضية بعد الان يا وطسن اللهم الا اذا هيات لنا الاقدار فرصة ليست فى الحسبان .. علي انه يؤسفني ان اقرر ان قضية نورووود لن تكون بين القضايا التي كتب لنا فيها الفوز .. ولكم اشعر بالمرارة وخيبة الامل لانني لن استطيع ان اشفي غليل الجمهور المتعطش الي معرفة نتيجة هذه القضية الشاذة

فقلت : لا ريب انه لو ظهر اولداكر فى عالم الوجود مرة اخرى لانقلبت نظرية البوليس راسا علي عقب

ـ هو ذاك يا عزيزى .. ولكن من سخف الراى ان يتعلق بمثل هذا الامل الواهي .. فما لم تظهر ادلة جديدة عكسية ، فانه يؤسفني حقا ان اقرر ان موكلنا من الهالكين لا محالة فان جميع الادلة قائمة ضده .. وكل تحقيق جديد يجيء بنتائج تزيد فى الاساءة الي موقفه .. وبهذه المناسبة .. ثم مسالة بسيطة تتعلق بالوثائق ، ولكنها قد تصلح لان تكون نقطة ابتداء جديد .. وهي انني حينما

تحصت سجل المصرف ، وجدت أن السبب الرئيسى فى انخفاض مستوى الرصيد انما يرجع الي شيكات كبيرة القيمة دفعت اثناء العام المنصرم لشخص يدعي كورنيايوس .. ولا اكتمك انه يهمني ان اعرف من يكون مستر كورنيليوس هذا الذى ينفحه مقاول متقاعد مثل هذه المبالغ الضخمة.. الا يجوز ان له ضلعا فى هذه المأساة ؟ قد يكون كورنيليوس سمسارا .. ولكننا لم نجد اى وثيقة تشير الي هذه المبالغ الضخمة بين وثائق اولداكر .

اما وقد فشلت فى الحصول علي نتائج حاسمة ياعزيزى وطسن ، فانني ارى ان اوجه التفاتي الي مستر كورنيليوس هذا .. وسوف استفسر من المصرف عن شخصية الرجل الذى قدم الشيكات .. واني لاخشى كل الخشية يا صديقي ان تنتهي القضية بانتصار لستراد واعدام موكلنا وهذا بلا ريب سيكون انتصارا عظيما لرجال سكتلانديارد

***

لست اعلم كيف قضى هولمز ليلته ، ولاكم ساعة نام منها، ولكنه كان ممتقع الوجه بادى الاعياء عندما تقابلنا علي مائدة الافطار فى صباح اليوم التالي..وكانت عيناه شديدتي التألق وسط الهالتين الزرقاوين اللتين احاطتا بها .. كما لاحظت ان عشرات من اعقاب اللفائف كانت منثورة فوق السجادة حول مقعده .. بينما وضعت صحف الصباح كلها امامه فوق المنضدة . وبجوارها برقية مفضوضة

سألني وهو يدفع الي بالبرقية :

ـ ما رأيك فى هذه يا وطسن ؟!

كانت البرقية من نوروود .. ونصها كالاتي :

« تطورات هامة جديدة .. اثبات ادلة ماكفرلين نهائيا انصحك بالتخلي عن القضية « لستراد »

قلت معقبا :

- يبدو ان القضية تتطور تطورا سيئا .
فقال هولمز :
- ان لستراد يتغني بالنصر مقدما .. ومع ذلك فان من الحماقة ان نتخلي عن القضية .. لان عبارة « تطورات هامة » تحمل معني ذا حدين .. قد يقطع احدهما فى الاتجاه المضاد لما يتخيله لستراد . هلم نتناول طعام الافطار يا وطسن ، وسنخرج بعدئذ معا لنرى ماذا جد من الامور .. لاني اشعر بأنني سأكون اليوم بحاجة الي رفقتك ومساعدتك .

لم يتناول صديقي طعاما ذلك الصباح ، اذ اعتاد الا يفطر كلما عرضت له قضية عويصة تحتاج الي بذل مجهود عقلي كبير : وله فى ذلك قول طالما سمعته يردده : « ليس فى استطاعتي ان اتخلي عن ذرة من نشاطي وقوة اعصابي لاستخدامها فى الهضم . » فلم يدهشني اذن احجامه عن تناول الطعام فى ذلك الصباح .

وانطلقنا الي نورwood .. ورأينا جمهرة كبيرة قد تجمعت حول ديب دين هاوس .

وخف لستراد لاستقبالنا عند البوابة . وقد تجمعت علي وجهه علامات الظفر والانتصار .

صاح بانفعال :
- هل استطعت ان تدلل علي خطأ نظريتنا يا مستر هولمز ؟ وهل عثرت علي عابر السبيل الذى كنت تتشدق به وتبحث عنه ؟ .

فأجابه صديقي برصانة :
- اني لم اصل بعد الي اية نتيجة .
- واما نحن فقد جمعنا اخر خيط يؤيد نظريتنا امس وتبينا اليوم صحتها . فينبغي ان تعترف باننا سبقناك فى الكشف عن سر الحادث فى هذه المرة يا مستر هولمز .

فقال هولمز :
ـ ان هيئتك توحي بانك تحمل انباء غير عادية . او ان حادثا عظيم الشان قد وقع .
فضحك لستراد ملء شدقيه .. وقال :
ـ انك مثلنا جميعا .. تكره الاعتراف بالهزيمة . اليس كذلك يا دكتور وطسن ؟ تفضلا بمرافقتي . اظن انه سيكون فى استطاعتي ان اقنعكما تماما هذه المرة بأن جون ماكفرلين هو بطل الحادث بغير شك .
وقادنا فى الممر . ومنه الي الردهة المعتمة .
وقال :
ـ لا ريب ان ماكفرلين جاء الي هنا ليحصل علي قبعته بعد ارتكاب الجريمة .. انظر الي هذا !
وفى حركة تمثيلية رائعة . اشعل لستراد عود ثقاب . رأينا علي ضوئه بقعة كبيرة من الدم ما كدت اتأملها حتي ايقنت علي الفور انها اثر يد انسان
وقال مفتش البوليس :
ـ تأمل هذا الاثر بمنظارك المكبر يا مستر هولمز .
فاجاب هولمز :
ـ اني انما افعل ذلك فى الواقع .
ـ اظنك تعلم انه لا توجد يدان فى العـــالم تتركان نفس الاثر .
ـ لقد سمعت شيئا من هذا القبيل .
ـ حسنا .. هل لك ان تقارن اذن بين اثر يدماكفرلين اليمني المأخوذ فوق الشمع .. وبين اثر اليد المطبوع فوق الجدار .. وافادتي برأيك ؟
ما كاد لستراد يدني الاثر المأخوذ مـــن ذلك المطبـــوع ، حتي ادركت ، من غير حاجة الي الاستعانة بمنظار مكبر ، الي انهما اثر يد واحدة .

وفى التو ، ادركت ان موكلنا قد هلك

وقال لستراد بزهو : اظن ان فى هذه القرينة الدليل القاطع

فقلت مرددا عبارته : نعم .. انه لدليل قاطع بغير جدال

وقال هولمز : هذا صحيح !

ولكن لهجة هولمز استرعت اهتمامي .. فتحولت ، وتطلعت اليه متسائلا .. فرأيت ان تبدلا غير عادى قد طرا علي وجهه .. ذلك انه كان يفصح عن سرور شديد مكظوم .. بينما تألقت عيناه كنجمين ساطعين .. حتي خيل الي انه يبذل جهود الجبابرة ليكبت عاصفة قوية من الضحك كادت تنطلق من فيه

واخيرا قال : يا للعجب ! من كان يظن ذلك ؟ حقا ان الظواهر خداعة كما يقولون ! اينا كان يظن ان مثل هذا الشاب الظريف يقدم علي ارتكاب جريمة مروعة تقشعر لهولها الابدان ! هذا درس مفيد لنا يا لستراد .. يحملنا علي الا نعتمد كثيرا علي منطقنا الخاص .. اليس كذلك يا عزيزى ؟

فقال الرجل بلهجة الشامت : نعم .. فالمنطق الخاص قد يتأثر بالاهواء والاغراض .. فمن الخير ان يواجه المرء الحقائق .. ويدعها تتكلم فى الوقت المناسب

كانت للهجة مفتش البوليس حدة السيف .. فغلي الدم فى عروقي .. ولكني لم اتمالك غير الصمت .

واما هولمز فكان يبدو هادئا .. وحين تكلم نم صوته عن مدى الانفعال الذى ينتابه .. قال :

ـ يا للقدر العجيب .. فهو وحده الذى دفع الشاب الي الاستناد بيده اليمنى الي الجدار وهو يلتقط قبعته من فوق المشجب !! فانك لو انعمت النظر الي هذا العمل ،

لعرفت انه امر طبيعي لا شذوذ فيه .
كانت لهجة هولمز تفصح عن التهكم المقرون بالتحدى .. واستطرد :
ـ وبهذه المناسبة .. من الذى وقع علي هذا الاكتشاف المدهش بالستراد ؟
ـ مدبرة المنزل مسز لكزنجتون فهي التي اجتذبت انتباه كونستابل الحراسة اليه
ـ واين كان الكونستابل وقتئذ ؟
ـ كان منوطا به حراسة غرفة النوم حيث ارتكبت الجريمة .. والغرض من ذلك الا تترك اية فرصة لاى شخص ليعبث بمحتويات الغرفة
ـ لكن لماذا لم ير البوليس هذا الاثر امس ؟
ـ لم يكن هناك سبب يحملنا علي اجراء فحص دقيق فى ارجاء الردهة .. وفوق ذلك لم نجد فيها ما يستحق الاهتمام
ـ اصبت .. اصبت .. اكبر الظن انه ليست هناك اية ريبة فى ان هذا الاثر كان موجودا امس ؟

***

فتطلع لستراد الي هولمز .. كما ينظر المرء الي شخص نقد عقله .. وقد شعرت ان وراء العاصفة ما وراءها .. وان هولمز يوشك ان يلقي بقنبلة جديدة تقضى علي كل امال مفتش البوليس .
قال لستراد : لا اعلم ان كنت تظن ان ماكفرلين خرج من السجن فى جوف الليل لكى يضيف الي ادلة ادانته دليلا جديدا .. ام انك ترمي بقولك هذا الي غرض اخر .. اني علي استعداد لانتداب اى خبير تطمئن اليه لابرهن لك علي ان هذا الاثر انما هو اثر يد ماكفرلين اليمني
ـ ومن قال انه ليس اثر يده ؟
فقال لستراد بزهو : الا ترى ان فى هذا الاعتراف

الكفاية ؟ ! اني رجل عملي يا مستر هولمز .. وعندما تجتمع لدى الادلة ، ابدا بتكوين نظريتي على هـداها .. فاذا كان لديك ما تقوله فستجدني اضع تقريرى عن الحادث فى غرفة الجلوس

وغادر المفتش الغرفة .. فشيعه هولمز بنظرة ساخرة وقال لي : الا ترى ان هذا التطور الجديد يدعو الي الاسى يا وطسن ؟ ! ومع ذلك فان هناك اشياء تجعلنا نؤمن بأنه ما زال هناك امل فى انقاذ موكلنا .

فقلت باغتباط : يسرني ان اسمع ذلك .. فقـد كنت اخشى الا نجد الي انقاذه سبيلا

ــ اوه .. لا تكن سريع اليأس يا عزيزى وطسن . ولا تشتط كذلك مع الامال البراقة .. الحق ان ثم ثغرة جدت فى الادلة التي يعلق عليها صديقنا لستراد اهمية عظيمة

ــ احقا يا هولمز ؟! وما هي هذه الثغرة ؟

ــ مجرد الجزم بأن هذا الاثر لم يكن موجودا فوق جدار الردهة امس .. فقد فحصت هذا الجـدار عنـد زيارتي المنزل .. ولم اره .. او ار ما يماثله . والان هلم بنـا فسنقوم بجولة قصيرة فى الخارج يا وطسن ..

وخرجنا علي الاثر .. وقد بدأ الامل يدفىء صدرى .. ورحنا نذرع الحديقة .. ولاحظت ان صديقي كان يحرص علي تأمل كل واجهة من واجهات المنزل الاربع .. وبعدئذ قفلنا عائدين الي الداخل .. حيث فحص كل ركـن من اركان الدار بعناية ودقة عظيمتين .. كانت غالبية الغرف عارية عن الاثاث .. ولكن ذلك لم يمنع هولمز من ان يوليها عنايته التامة .. الي ان بلغنا ممرا طويلا يمتد امام ثـلاث غرف للنوم مهجورة .. وهنا طغت عليه نوبة من الفـرح الغامر

وقال : لهذه القضية بعض وجوه فريدة يا وطسن ،
وقد حان الوقت لاكشف لصديقنا لستراد عن بعض ما وقفت
عليه .. لقد سخر منا في البداية .. ولعلي سأكيل له
الصاع صاعين اذا تحققت النظرية التي بدات تختمر في
راسي بصدد هذه القضية .. نعم .. نعم .. اظن اني
عرفت كيف نستطيع ان نعالج الموقف برمته
كان لستراد منهمكا في كتابة تقريره في غرفة الجلوس..
عندما قاطعه هولمز قائلا :
ـ فهمت منك انك ستعد التقرير الذى سترفعه الي
الجهات المختصة عن هذه القضية ؟
ـ نعم .. اني اكتبه الان فعلا
ـ الا تعتقد انك تتعجل الحوادث ؟! اني اعتقد ان شهادتك
لم تستكمل اركانها بعد يا عزيزى
كان لستراد يعرف خلق صديقي .. ولذا فانه لم يبادر
الي تسفيه رأيه .. وانما وضع القلم فوق المنضدة ..
وراح يتطلع اليه بدهشة شديدة
ثم سأل : ماذا تعني يا مستر هولمز ؟
ـ اعني ان هناك شاهدا هاما في هذه القضية لم تره بعد
ـ وهل تستطيع احضاره يا سيدى ؟
ـ اظن ذلك
ـ اذن فعلينا به
ـ ساحاول ما استطعت .. كم عدد رجالك هنا ؟
ـ يوجد ثلاثة رجال رهن اشارتي في هذه اللحظة .
فقال هولمز : بديع .. هل هم من الرجال الاشداء ذوى
الحناجر القوية ؟
ـ بكل تأكيد .. ولكن ما شأن حناجرهم في القضية ؟
ـ مهلا قليلا ، فسأوضح لك السر .. كما سأوضح بعض
نقط اخرى .. فارجوك ان تستدعي رجالك في الحو ..

وبعد خمس دقائق كان الرجال الثلاثة قد اقبلوا الى الغرفة

قال هولمز : توجد خارج المنزل كومة كبيرة من القش . فارجو ان تأتونا بحزمتين فقط منها .. لاني اعتقد انهما ستساعدانني كثيرا علي اظهار الشاهد المطلوب .. اني اشكركم سلفا علي ما ستتجشمونه من مشاق .. ولكني اعتقد ان الواجب يقضى علينا ببذل كل جهودنا لنصرة الحق والعدالة .

وتحول الي وسألني : امعك علبة ثقاب يا وطسن ؟

فلما اجبته بالايجاب التفت الينا جميعا .. وقال : ارجو ان تتبعوني الي الطابق العلوى

وتقدمنا الي الممر الذى سلف ذكره ، والممتد امام غرف النوم الثلاث غير المستعملة ، ومضى بنا الي اقصاه .. ورجال البوليس مكشرون عن انيابهم .. بينما راح رئيسهم لستراد يحدق في وجه صديقي هولمز بدهشة بالغة ، تخالطها اللهفة والحيرة .

وواجهنا هولمز ، وقد بدا علي وجهه سمات « الحاوى » الذى يقدم علي اجراء احدى حيله البارعة .

ثم قال : هل تتكرم بارسال احد رجالك لجلب دلوين من الماء يا مستر لستراد ؟ ضعوا القش علي الارض هنا بعيدا عن الجدار من كلا الجانبين .. والان .. اظن اننا جميعا علي استعداد

فاحمر وجه لستراد من فرط الغضب .. وهتف :

ــ ما هذا الذى تصنع يا مستر هولمز ؟ اجئت بنا الي هنا لتسخر منا ؟ اذا كنت تعرف بعض المعلومات فلماذا الاتصارحني بها بدلا من هذا العبث الفارغ ؟

ــ اؤكد لك يا صديقي لستراد انني املك سببا وجيها لكل ما اصنعه .. ولعلك تذكر انك هزأت مني ، وسخرت

من اقوالي منذ وقت وجيز ، اعني عندما كانت شمس الامل تشرق فى اتجاهك .. فمن الواجب اذن الا تتذمر اذا سألتك منحة لن تكلفك غير الانتظار قليلا .. ارجو ان تفتح النافذة يا وطسن .. ثم تشعل النار فى القش

فاطعت .. وما كاد النسيم يتسرب الي الداخل ، ويغذى النار ، حتي اشتد سعيرها .. وبدات سحب الدخان القاتم تملأ جوانب الممر .. والقش يئز وهو يحترق .

وقال هولمز : دعنا نحاول الان العثور علي الشاهد المنشود يا لستراد .. هل لكم جميعا ان تصيحوا معا بكلمة «حريق»! صيحوا ملء حناجركم .. والان .. واحد .. اثنان .. ثلاثة ..

فصحنا جميعا بصوت كالرعد : حريق !؟

ــ اشكركم .. ارجو ان تعيدوا الكرة .

ــ حريق !

ــ مرة اخرى ايها السادة وسينتهي كل شيء .

فرفعنا حناجرنا صائحين : حريق !!

وما كاد صدى صوتنا يتلاشى حتي وقع حادث غريب لم يكن فى الحسبان .

انشق الجدار المقابل .. وكشف عن باب سرى فى نهاية الدهليز .. واندفع من داخله رجل ضئيل الجسم .. كما يندفع الجرذ من جحره فى ساعة الخطر .

وصاح هولمز بلهجة الظافر :

ــ بديع ! بديع ! والان هيا ياوطسن واسكب احد الدلوين فوق النار لتخمدها . نعم فى هذا الكفاية ! دعني اقدم لك الشاهد الرئيسى فى هذه القضية يا مستر لستراد .. اليك مستر جوناس اولداكر !

حملق مفتش البوليس فى وجه القادم الجديد بذهول

تام .. واما مستر جوناس اولداكر فقد حجب ضوءالدهليز الساطع عن عينيه باحدى يديه .. وراح ينقل بصره بيننا وبين النار الخامدة .. وقد كشر عن ناجذيه كوحش غاضب
وكان لستراد قد تغلب علي اثار المفاجأة فى تلك الاثناء .. فصاح بالقادم :
ـ ما معني كل هذا اذن ؟ ما الذى كنت تصنعه خلال هذا الوقت الطويل ؟ . لماذا لزمت الصمت ايها اللعين ؟ . هيا تكلم !!
فاطلق اولداكر ضحكة تنم عن القلق والاضطراب . وتراجع الي الخلف تحت وطأة نظرات مفتش البوليس الغاضبة المتوعدة
ثم اجاب بوجل :
ـ اني لم آت شرا .
ـ لم تأت شرا ؟ لقد كدت تدفع برجل برىء الي المشنقة ايها التعس . ولولا تدخل هذا السيد « واشار الى شرلوك هولمز » لذهب المسكين ضحية عبثك ونزقك
فأن الرجل التعس انة عميقة .. وغمغم :
ـ اني لم اقصد غير المزاح يا سيدى .
ـ المزاح ؟ احقا ؟! سوف يكلفك هذا المزاح غاليا
وتحول لستراد الى اتباعه . وقال لهم
ـ خذوه الي غرفة الجلوس .
وبعد انصرافهم .. التفت الي هولمز .. وقال له :
ـ لم يكن فى استطاعتي ان اتكلم امام اعواني يا مستر هولمز . ولكني لا اجد غضاضة فى ان اصرح أمام الدكتور وطسن ان هذه ابرع حيلة رايتها فى حياتي .. ولو اني مازلت اجهل كيف تفتق عنها ذهنك .. وعلى اى اساس اقمتها .. لقد انقذت حياة رجل برىء وحلت دون وقوع كارثة . وانقذت سمعتي .

فابتسم هولمز ابتسامة هادئة .. وربت على كتف لستراد .. ثم قال :

ـ اوه ! . لن يصيب سمعتك شيء يا صديقي .. على العكس .. ستكلل هذه القضية هامتك باكليل من الغار .. فقط اجر بعض التعديلات فى تقريرك .. وعندئذ سوف يتبين لرؤسائك كيف انه من المتعذر ذر الرماد فى عيني المفتش لستراد الدهية !!

ـ وانت .. الا تريد ان يظهر اسمك فى القضية ؟

ـ كلا .. مطلقا .. حسبي النتيجة التي وصلت اليها فهي نعم الجزاء .. والان هلما بنا لنرى اين كان يختبىء هذا الجرذ .

واخذنا نفحص الفجوة .. فالفيناها عبارة عن باب يتحرك فى قلب الجدار .. ولكنه لا يبدو للعيان .. ومن خلفه غرفة ضيقة مضاءة بمصباح كهربائي وتحتوى على بضع قطع من الاثاث .. وكمية من الطعام والماء .. وعدد من المجلدات والكتب والاوراق .

قال هولمز ونحن نغادر هذا المخبأ السرى :

ـ هذه احدى مزايا الالمام بفن البناء .. لقد استطاع اولداكر ان ينشىء هذا المخبأ دون الالتجاء الي معونة احد. اللهم الا مدبرة منزله بالطبع .. وعلى فكرة انى اوصيتك بضم هذه السيدة الي قائمة متهميك يا عزيزى لستراد ..

ـ سأعمل بنصيحتك يا مستر هولمز .. لكن كيف عرفت بأمر هذا المخبأ السرى ؟

ـ لقد افترضت بادىء الامر ان اولداكر مختبىء فى المنزل .. وعندما قست طول الممر العلوى ، الفيته اقل من الممر الاسفل بستة اقدام .. وعندئذ تساءلت اين ذهب هذا الفرق ولم البث ان ادركت ان هناك سرا فى تصميم الدهليزين . وبالتالي ارتبت فى وجود مخبأ سرى .

واختمرت في راسى فكرة التجاء اولداكر الي هذا المخبأ وقد جال بخاطرى ان الرجل لن يستطيع البقاء فى مكمنه اذا سمع ان حريقا شب فى المنزل .. ولو انه كان فى استطاعتنا ان نقتحم المخبأ ونظفر به .. ولكني اردت ، للتسلية فقط ، ان ارغمه علي الخروج من مخبئه فضلا عن اني اردت كذلك ان ارد اليك بعض ما نالني منك من سخرية هذا الصباح .

فقال لستراد بتواضع :

ـ ارجو ان تغفر لي حماقتي يا سيدى .. لكن كيف عرفت بحق السماء ان الرجل موجود فى المنزل علي الاطلاق؟

ـ ان اثر اليد هو الدليل الذى هداني الي هذه الحقيقة يا عزيزى لستراد .. لقد قلت لي انه دليل قاطع . وقد كان كذلك .. ولكن ليس من وجهة نظرك .. وانما من وجهة نظرى انا .. كنت اعلم ان هذا الاثر لم يكن موجودا فى مكانه فى اليوم السابق .. فقد فحصت جميع جدران المنزل واركانه وارضه عند زيارتى له امس .. دون ان اقع علي مثل هذا الاثر فلما رايته اليوم تأكد له انه احدث ابان الليل .

ـ لكن كيف حدث ذلك يا سيدى ؟

ـ حدث بغاية البساطة .. عندما اغلقت حزم الاوراق حرص اولداكر علي ان يغلق ماكفرلين احداها وبذلك انطبع اثر يده فوق الشمع الرقيق .. واني اؤكد لك ان هذا الحادث مر دون ان يفطن اليه الشاب .. بل لعله لا يذكره وان تذكره لا يعلق عليه اية اهمية .. ومن المحتمل ايضا ان اولداكر لم يكن يفكر فى استغلال هذه الاثار وقت ان حصل عليها .. ولكنه عندما خلا بنفسه فى مخبئه السرى، واستغرقت القضية تفكيره تذكر فجأة هذا الاثر وادرك انه

ستطيع ان يستغله فى الاساءة الي موقف الشـاب كـل الاساءة ..

كان من السهل جدا ان ينقل اثر اليد علي طبقة من الشمع الرقيق ، ويلطخها بالدم .. ثم يطبعها فوق الجدار اثنـاء الليل ، فان تعذر عليه .. فلتتوله مدبرة منزله .. ولو بحثت بين الوثائق التي اخذها معه فى مخبئه ، فانى علي استعداد لان اراهن بأنك ستعثر علي الاثر الاصلي بينها

فهتف لستراد

ـ هذا بديع . ! بديع للغاية ! ان القضية ظاهرة كالشمس بوضعها الجديد .. لكن ما هو الغرض من هذا التضليـل الخطير يا مستر هولمز ؟

كم سرني فى تلك اللحظة ان ارى المفتش لستراد يتجرد من كبريائه .. ويوجه اسئلته الي صديقي فى تواضع جم .. كما يفعل الطفل عند ما يوجه سؤالا استعصى عليه جوابه الي مدرسه .

قال هولمز ردا علي هذا السؤال

ـ ليس من الصعب الاجابة عن هذا السؤال وغيره بعـد ان وجد الفاعل .. ان مستر اولداكر رجل بعيد الغور ، حقود .. ولعلك تعلم ان ام ماكفرلين رفضت الزواج منـه فى احد الايام ؟ كلا .. حسنا .. لقد قلت لك اول امس انني ذاهب الي بلاكهيث اولا ثم الي نوروود بعد ذلك .. حسنا .. لقد ظلت هذه الاهانة ماثلة نصب عيني اولداكر طوال السنين التي اعقبت ذلك .. وراح يتحين الفرصـة للانتقام من المراة التي سلبته هناءه وحطمت حياته ... ولكن الفرصة لم تواته .. واتفق ان ساءت حالته الماليـة خلال العام او العامين الاخـيرين ، ولعـله كان يشترك فى مغامرات سرية اطاحت بمعظم ثروته حتي اشرف علي الافلاس ومن ثم اعتزم الاحتيال علي دائنيه .. ولهذا الغرض راح

يحرر شيكات بمبالغ ضخمة لشخص يدعى مستر كورنيليوس .. وهو شخص وهمي .. او بعبارة ادق انه مستر اولداكر نفسه متستراً تحت هذ الاسم الزائف .. انني لم اتتبع هذه الشيكات بعد .. ولكني واثق من ان اولداكر صرفها من فرع مصرفه فى الريف حيث اتخذ لنفسه مسكنا كان يتردد عليه بين الحين والحين .

ويغلب علي ظني ان اولداكر كان يعتزم تغيير اسمه فى النهاية ، اى بعد ان يسحب جميع ثروته من المصرف بهذه الوسيلة الجهنمية .. ثم يختفي تماما .. ويبدا حياته من جديد فى مكان اخر .

فقال لستراد معقبا :

ـ الحق ان هذه النظرية مقبولة تماما

ـ ولا شك ان اولداكر قدر ان اختفاءه التام سيعجز الجميع عن تتبع اثاره .. وفى الوقت عينه يمكنه من الثأر من صديقته السابقة ، وتحطيم حياتها .. وذلك بأن يدخل فى روعها ان ابنها الوحيد هو قاتله

كانت خطة محكمة .. وقد نجح اولداكر فى انفاذ الشطر الاكبر منها ببراعة تستحق الاعجاب .. فان فكرة الوصية تكفي لان توضح الدافع لارتكاب الجريمة .. وهناك ايضا فكرة الزيارة السرية المجهولة من ابوى الشاب .. وابقاء عصاه فى منزل القتيل .. وبقع الدم .. وازرار البنطلون كل هذه ادلة مادية تكفي لالصاق التهمة بماكفرلين التعس ..

لقد كانت الشبكة محبوكة الاطراف .. حتي خيل الي منذ ساعات قلائل انه من المستحيل احداث اية ثغرة فيها بيد ان اولداكر لم يكن يتمتع بعبقرية الفنان الموهوب .. فلم يعرف انسب الحدود للتوقف وعدم الاندفاع

انه اراد ان يحسن ما قد بلغ درجة الكمال .. وان يزيد فى احكام وضع الحبل حول عنق الضحية المسكينة ...

ولكنه أفسد كل شيء .. وهدم خطتـه الجهنميـة من اساسها
والان هلما بنا الي غرفة الجلوس .. فاني ارغب فى ان القي علي الرجل سؤالا او اثنين
ووجدنا رب الدار الخبيث جالسا فوق مقعد مريح .. وقد وقف رجال البوليس علي كلا جانبيه
وما كاد يرانا .. حتي قال بلهجة جزعة :
ـ لقد اردت المزاح فقط ياسيدى .. ولم اقصد شيئا غير ذلك .. أؤكد لك اننى اخفيت نفسى ، لارى تأثير اختفائى وانى واثق من انك لن تعتقد خطأ اننى قصدت الحاق الاذى بمستر ماكفرلين المسكين .
فقال لستراد بخشونة : لندع البت فى ذلك للمحلفين .. واما الان فانى اقبض عليك بتهمة التآمر .. ان لم يكن بتهمة الشروع فى القتل
واضاف هولمز : ومن المحتمل ان تجد دائنيك قد حجزوا على رصيدك فى المصرف يامستر كورنيليوس
وانتفض اولداكر .. وحدق فى وجه محدثه بحقد وبغضاء .. ثم قال :
ـ انى عاجز عن شكرك على هذه المعلومات القيمة التى زودتنى بها .. من يدرى . فقد استطيع ان ارد اليك هذا الصنيع فى احد الأيام
فابتسم هولمز .. وقال :
ـ اكبر ظنى انك لن تجد من وقتك متسعا لرد الصنيع خلال عدة اعوام قادمة .. وعلي فكرة ما الذى وضعته بين الأخشاب التى احترقت غير البنطلون القديم ؟. اكان كلبا ميتا ؟ ام جرذانا .. ام ماذا ؟
آه ! اترفض الاجابة ؟ يالله ! ما اقساك ياعزيزى ، حسنا حسنا .. اكبر ظنى ان جرذين ميتين قد القيا فى النـــار

فاحدث احتراقهما تلك الرائحة التى شمها رجال المطافىء . ثم انك استعنت بدمائهما قبل ان تحرقهما . ونثرتها فوق الارض وعلى مقبض العصـــا . ليتم حبك خطتك . حقا ياسيدى . انك لشديد الدهاء ! !

القسم الثالث

مصرع الجبار

قضى صديقى هولمز عام ١٨٩٥ فى نشــاط مستمر .. واصاب نجاحا منقطع النظير . واكتسب خبرة ومقدرة فى البحث الجنائى لم يتمتع بهما انسان .

ومع ان القضايا اخذت تترى عليه . وازدحم منزله يوميا بعشرات العملاء . الا ان هولمز كان يرفض قبول العمل فى اغلب القضايا لضيق الوقت . وكان يؤثر ويسر ان يضطلع باعباء قضية عرضت عليه من موكل رقيق الحال ، مادامت تستهويه وتستأثر باهتمامه ، على ان يقبل قضية يكــون صاحبها ثرى امثل ، برغم الفروض الجذابة المغرية التى كانوا يقدمونها اليه

وفى هذا العام بالذات ، عام ١٨٩٥ ، احدث توفيق هولمز الى اماطة اللثام عن موت الكردينال توسكا الفجائى هزةعظيمة فى جميع ارجاء البلاد ، وبعث اليه البابا بكتاب شكر رقيق

وجاءت قضية ويلسون السفاح فى اثر هــذه القضية ، ونجح هولمز فى تسليم المجرم الي العدالة ، فانهــالت علينا برقيات التهنئة والتقدير من كل جانب

وفى اعقاب هذه القضية اصاب هولمز فوزا عظيما فى مأساة وودمان لى ، فنجح فى تبديد الغموض الذى احاط بمقتــل الكابتن بيتر كارى

واني اعتقد ان ترجمة حيــاة هولمز لن تتم بغير تسجيل

« ٠ »

كان هولمز يتغيب عن منزله بكثرة غير مألوفة خــلال الاسبوع الاول من شهر يوليو ، حتى ادركت ان ثم امورا تجرى فى الخفاء ، ولو انه لم يصارحنى بشيء

وقد زاد اعتقادى هذا كثرة تردد رجال خشنى المظهر علي منزلنا ، واستفسارهم عن شخص يدعى الكابتن باسيل ادركت فيما بعد انه الاسم المستعار الذى اطلقه هولمز على نفسه فى القضية التى كان مضطلعا بتحقيقها فى تلك الاثناء

وظل هولمز يحبس عني انباءه طول الاسبوع ، الي ان عاد ذات يوم وعلى وجهه دلائل الاعياء والنصب ، ثم قال لى ان الاتجاه الذى اتخذه التحقيق يتطور تطورا عجيبا

كان قد غادر المنزل قبــل ان يتناول طعام الافطار .. وبينما كنت اتناول طعامى . اذا به يعود أدراجه . وقــد لبس قبعته . بينما حمل تحت ابطه رمحا ينتهي بسن ذى قرنين كالهلب ، ولكنه يشبه المظلة .

وما كدت اراه على هذه الحال حتى صحت مبهوتا :

— ياللسماء ! ! ماهذا ياهولمز ؟ لا اظنك كنت تذرع ارجاء لندن وانت تحمل هذا الرمح تحت ابطك ؟

— لقد ذهبت الى حانوت القصاب .. وعدت ادراجى فورا

فصحت مشدوها : القصاب ؟ !

— نعم .. وهاانذا قد عدت وانا اشعر بشهية لم اشعر بها منذ عشرات الايام . حقا ياصديقى وطسن . ان للرياضة قبل تناول طعام الافطار اثرا بعيداً فى نشاط الانسان ، ولكنني علي استعداد لان اراهنك انك لن تســتطيع التكهن بلون الرياضة التى مارستها هذا الصباح

— وانا من جانبى لن احاول ذلك .

— لو انك القيت نظرة على مؤخرة حانوت الارديك لرأيت

خنزيرا ميتا معلقا فى شص ، ورجلا يرتدى قميصا ذا اكمام قصيرة يطعن الخنزير المسكين بهذا الرمح بعنف وقوة
وابتسم هولمز ابتسامة خفيفة ثم قال :
ــ لقد كنت انا هذا الرجل النشـيط .. ولكنى اردت فقط اختبار مدى قوتى .. فاتضح لى ان فى استطاعتى ان اجعل الرمح يخترق جسم الخنزير بضربة واحدة من غير ان ابذل مجهودا فوق الطاقة .. فلعلك تريد ان تقوم بنفس التجربة يا عزيزى وطسن ؟
ــ كلا .. انى لا اميل الى هذه الاعمال (الوحشـــية) ياعزيزى هولمز .. لكن لماذا كنت تصنع ذلك ؟
ــ لانه يخيل الى ان ثم علاقة غير مباشرة بين هذه التجربة وقضية وودمان لى .. آه ! أهذا انت يا هوبكنز ؟! لقـد تلقيت برقيتك ليلة امس . وكنت اتوقع قدومك بين لحظة واخرى . تعال ياصديقى واجلس معنا . فانى شـديد اللهفة الى سماع انبائك
كان القادم شابا فى الثلاثين من عمره . تتفجر القوة من جوانبه . انيق الهنـــدام . ولو ان هيئته توحى بانه ممن اعتادوا ارتداء الثياب الرسمية
ولم يكن الشاب غريبا عنى .. فقد سبق ان تعرفت به فى احدى المناسبات . وهو يدعى ستانلي هو بكنز . ويشغل منصب مفتش بوليس فى ادارة سكتلانديارد
وكثيرا ما سمعت صديقى هولمز يقول بأنه سيكون لهـذا الشاب مستقبل عظيم فى البحث الجنائى كمـا لاحظت ان هوبكنز كان يقتحب الاعجاب والتقدير لهولمز
وكان اليأس باديا علي وجه الشاب .. فاراد هـولمز آن يسرى عنه . فدعاه الى تناول طعام الافطار . ولكنه اعتذر قائلا :
ــ شكرا ياسيدى . لقد افطرت قبل حضورى •• اذ انى

قضيت ليلة امس فى المدينة فرفع هولمز حاجبيه متسائلا ••
فقال الشاب على عجل :
ـ لقد جئت لاقدم تقريرى •
ـ وعلام يحتوى تقريرك ياهوبكنز ؟
ـ على الفشل والخيبة •
ـ اذن فانت لم تحز اى نجاح •
ـ كلا ياسيدى •• لم اوفق على الاطلاق
ـ يالله ياهوبكنز !! اذن ينبغى ان اولى الامر عنايتى
ـ انى لارجو ذلك من صميمى يامستر هولمز •• ان هذه اول قضية كبيرة اتولي تحقيقها .. ولكني عاجز عن ادارة دفة البحث •• ويكاد الياس ان يتولانى •• فهلا مددت الى يدك بحق السماء يامستر هولمز ؟
ـ حسنا •• حسنا •• من حســن الحظ اننى قرات اقوال الشهود •• ومحضر التحقيق ببعض العناية •• وعلى فكرة ، مارايك فى كيس التبغ الذى وجد فى مكان الجريمة !! الم تعثر على اى دليل يفسر هذه النقطة الغامضة ؟
فارتسمت الدهشة علي وجه هوبكنز واجاب :
ـ كان الكيس ملكا للرجل ياسيدى •• فقد رايت الحروف الاولى من اسمه منقوشة على الجلد من الداخل •• ثم انه مصنوع من جلد (قرش البحر) •• وانت تعلم ان الرجل كان يصيد هذا الحيوان
ـ ولكنه لم يكن يملك غليونا
ـ كلا ياسيدى •• اننا لم نستطع العثور على اى غليون مما يدل على انه كان نادر التدخين •• ومن المحتمل انه كان يحتفظ ببعض التبغ لاصدقائه
ـ اصبت ياهوبكنز •• انى فقط المعت الى هذه النقطة لابين لك اننى لو كنت المتولى تحقيق هذه القضية لاتخذت منها نقطة الابتداء • مهما يكن •• فان صديقى وطسن يجهل

كل شىء عن هذه القضية الغامضة وظروفها العجيبة ..
فهلا سردت علينا حوادثها ليلم باطرافها ؟ بالطبع يكفى ان
تذكر الهام منها والصلة الرابطة بينها اما الباقى فاهمله
فقال هوبكنز .. وهو يخرج ورقة من جيبه .. ويتامل
الكتابة المسجلة فوقها :
ـ لقد سجلت بعض التواريخ والمعلومات فى هذه الورقة
وساقراها عليكما لكى تلما بحياة القتيل
واعتدل الشاب فى جلسته . واستطرد :
ـ ولد الكابتن بيتركارى فى عام ١٨٤٥ . فهو اذن يبلغ
من العمر خمسين عاما .. وهو رجل مغامر وصياد ماهر
لقرش البحر والحيتان .. وفى عام ١٨٨٣ تولى ادارة الباخرة
انيكرون التابعة لشركة دندى . وقام بعدة رحلات بحرية
للصيد كللت جميعها بالنجاح .. وفى العام التالى ـ اى عام
١٨٨٤ ـ اعتزل الكابتن بيتركارى العمل .
وقضى بضع سنوات فى التجوال والترحال .. واخيرا
ابتاع منزلا صغيرا اطلق عليه اسم وودمان لى على مقربة من
فورست روفى .. سسكس .. وعاش فى هذا المنزل ستة
اعوام انتهت بمصرعه فى الاسبوع الماضى
وطوى هوبكنز الورقة . واعادها الى جيبه .. ثم استانف
سرد قصته :
ـ لهذا الرجل صفات شاذة قلما تجتمع فى انسان . ذلك
انه كان معروفا بشدة صمته .. وانقباض صدره ، وكانت
عائلته مكونة من زوجة وابنة فى العشرين من عمرها وخادمتين
وكانت الاخيرتان تستبدلان مرة كل شهر على الاقل .. او
بعبارة اصح كانت الخادمات يهجرن المنزل بعد ان يخبرن
اخلاق صاحبه .. ويدركن انه من المستحيل عليهن الاستمرار
فى عملهن فقد كان الكابتن مدمنا على الشراب .. وعندما
يثمل ينقلب وحشا ضاريا لايرحم .. وكثيرا ما رؤى وهو

يطارد زوجته وابنته خارج الدار فى ساعة متاخرة من الليل وهو يهوى فوق ظهريهما بعصا غليظة بغير شفقة •• ومن تعرض له من اهل القرية اوذى • وضرب

وكانت شدة شكيمة القتيل وسوء معاملته لغيره من الناس سببا فى تقديمه للمحاكمة ذات مرة فقد اتفق ان كان يتبادل اطراف الحديث مع اسقف الناحية ، واحتدم بينهما الجدال • فاعتدى الكابتن بيتر على الاسقف • فشكاه هذا للقضاء ، ومع ان الكابتن اعتذر للمجنى عليه أمام المحكمة ، الا انه لم يسلم من لوم القاضى وتعنيفه •

صفوة القول يامستر هولمز •• انه لايوجد بين كل الف شخص ، رجل فى خطورة الكابتن بيتر كارى وقسوته •• وقد سمعت انه كان شديدا فى معاملة بحارة سفينته •• قاسيا ، جبارا ، لايرحم ولا يترفق •• ولذلك اطلقوا عليه اسم بلاك بيتر ، اى بيتر الاسود ، لانه الى جانب قسوته وجبروته ، كان مخيف الهيئة ، تنفر منه النفوس

لست بحاجة الى ان اقول ان هذه الصفات الشاذة ، جعلت الناس يبغضونه ويتجنبون الاتصال به •• اوالتعامل معه •• فليس عجيبا اذن اننى لم اسمع كلمة رثاء اواسف ممن التقيت بهم لما اصاب الرجل التعس

واحسب انك قرات فى التحقيق عن قمرة الكابتن بيتر كارى لكن مادام صديقك يجهل كل شيء فارى ان اوضح هذه النقطة لكى يلم بكل اطراف القضية

كان الكابتن بيتر قد شيد لنفسه كوخا صغيرا على مقربة من المنزل الذى ابتاعه • واطلق على هذا الكوخ اسم (القمرة) وفى هذه القمرة كان يقضى سواد لياليه

ولعله من المناسب ان اصف هذه القمرة •• كانت غرفة صغيرة طولها ستة عشر قدما وعرضها عشرة •• لا يدخلها

غير الكابتن الذى يحتفظ معه بالمفتاح باستمرار •• ويقوم بتنظيفها بنفسه

وكان للقمرة نوافذ صغيرة لاتفتح على الاطلاق • وفوقها ستائر سميكة •• واحدى هذه النوافذ تشرف على الطريق العام •• وكلما راى الجيران او اهل القرية الضوء ينبعث من هذه النافذة ، راحوا يتساءلون عما يصنع بلاك بيتر فى تلك الاثناء •• وهذه النافذة بالذات هى التى قادتنا الى احدى النتائج الايجابية القلائل ابان التحقيق

ولاشك انك علمت ان رجلا يدعى سلاتر غادر فورست رو حوالى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ، قبل وقوع الجريمة بيومين •• وتوقف عند النافذة المستديرة المطلة على الطريق العام •• وراح يتأمل الضوء الذى ينبعث من خلفها

لقد أقسم الرجل فى التحقيق انه راى راس رجل يتحرك منعكسا على الستار الشفاف المسدل فوق النافذة ••ولكنه اكد ان الراس لم يكن راس الكابتن بيتر كارى الذى يعرفه كل المعرفة

وعندما طلب الى سلاتر ان يصف الراس الذى رآه •• قال انه كان راس رجل ملتح •• ولكن لحيته كانت قصيرة تميل الى الامام بهيئة تختلف تماما عن لحية الكابتن بيتر كارى

هذا مازعمه سلاتر •• ولو انه من المشكوك فيه ان يكون الوصف دقيقا •• نظرا لبعد سلاتر عن النافذة من ناحية ولانسدال الستار فوقها من ناحية اخرى

مهما يكن •• فقد وقع هذا الحادث يوم الاثنين بينما ارتكبت الجريمة يوم الاربعاء ومن هذا يتضح انه ليس من الحكمة ان يعلق المرء كبير أهمية على هذا الحادث العرضى

وكانت حالة بيتر كارى النفسية سيئة للغاية فى يوم الثلاثاء ذلك انه جرع من الخمر ما افقده وعيه او كاد •• وتملكته

نوبة من الوحشية •• فراح يرغى ويزيد ويدور فى ارجاء المنزل مهددا متوعدا •• فانذعرت النساء •• وهجرن المنزل صارخات مولولات •• وعندما جن الليل ، اعتصم بقمرته

وحوالى الساعة الثانية من صباح اليوم التالى •• سمعت ابنته ، وكانت نائمة فى فراشـــها ونافذة غرفتها مفتوحة ، صرخة مخيفة صادرة من ناحية قمرة ابيها •• ولكنها لم تابه لها •• فقد تعودت أن تسمع مثل هذه الصرخات ، واروع منها كلما اسرف ابوها فى احتساء الخمر

وفى الساعة السابعة من صباح اليوم التالى ، لاحظت احدى الخادمات ان باب القمرة مفتوح ولكن شدة خوفها من الكابتن بيتركارى جعلتها تحجم عن تحرى السبب •• ومن ثم استنجدت ببعض المارة •• الذين احجموا اولا عن الاقتراب من القمرة •• ثم استجمع بعضهم اطراف شجاعته وتطلعوا خفية من خلال الباب المفتـوح •• ولكنهم مالبثوا ان ارتدوا عنه منذعرين •• هلعين

راوا منظرا مخيفا تقشعر له الابدان •• فلم يستطيعوا احتماله ، وولوا الأدبار

وبعد ساعة او اقل •• وصلت الى مكان الجريمة •• وتوليت التحقيق

وما اظن اننى اجاوز الواقع اذا قررت ، اننى اتمتـــع بأعصاب قوية تتحمل تأثير ابشع المناظر ، واشنع المشاهد ولكنى أؤكد لك يامستر هولمز اننى انتفضت فزعا حين وقع بصرى على داخل القمرة لاول مرة

كان طنين الذباب « والهابوش » يصم الأذان . بينما تغطت الأرض والجدار بالدم المتجمد

ولعمرى لقد صدق الرجل حين اطلق على الكوخ اســم (قمرة) فما يكاد المرء يطؤها بقدميه حتى يخيل اليه انه موجود فى احدى السفن ففى كل من نهايتى الغرفة وضع

صندوق ثياب كبير يستخدم ايضا للجلوس بينما علقت فوق الجدران خرائط ورسومات ، وصورة للباخرة انيكورن ورف صفت فوقه كتب تتعلق بالبحار والملاحة والحيوانات البحرية .. مما يوجد عادة فى قمرات ربابنة السفن

وفى وسط هذه الفوضى كانت جثة الرجل •• وقد التوى وجهه .. وتقلصت سحنته بدافع من الذعر الشديد

وكانت نظرة واحدة الي الجثة كافية لتفصح عن كيفية القتل

رايت حربة صيد مدفونة فى صدر الرجل العريض •• وسنها مستقرة فى الجدار الخشبى الذى وراءه •• وبعبارة ادق •• كان الرجل مسمرا الى الجدار •• ولم يكن هناك نزاع فى أنه لقى حتفه •• فى اللحظة التى اطلق فيها صرخة الفزع التى سمعتها ابنته •• ولم تعبأ بها

وتمهل هوبكنز ريثما يلتقط انفاسه •• ثم استطرد بعد هنيهة :

ولما كنت اعرف الكثير من وسائلك يامستر هولمز •• فقد بدات استخدمها بدورى فلم اسمح بنقل اى شيء من مكانه الا بعد ان فحصت الارض داخل وخارج القمرة بعناية شديدة واستوثقت من عدم وجود آثر اقدام

ــ اتعني انك لم تر اثار اقدام ؟

ــ أؤكد لك ياسيدى انه لم تكن هناك آثار على الاطلاق

فابتسم هولمز ابتسامة ساخرة .. وقال متلطفا :

ــ لقد حققت عشرات القضايا ياعزيزى هوبكنز ••ولكنى لم اجد بينها قضية واحدة ارتكبها مخلوق له جناحان • فما دام للمجرم قدمان •• فلا نزاع اذن فى ان يترك آثار هاتين القدمين خلفه •• ولو حرص على محوهما

ولذا فانى لا اكاد اصدق انك لم تجد آثار اقدام على الاطلاق •• وفوق ذلك ، ليس من المعقول الا توجد اية آثار

نوق ارض الغرفة المغطاة بطبقة من الدم
مهما يكن •• فقد فهمت من مطالعة التحقيق انه كانت هناك بعض اشياء لم تخف على فطنتك •• فهل لك ان تحدثنا عنها ياعزيزى هوبكنز ؟

فانكمش الشاب ازاء سخرية هولمز •• وبدا عليه الاضطراب وقال متلعثما :

ـ كم كنت احمق فلم استدعك وقت وقوع الجـــريمة يامستر هولمز •• لكن مافائدة البكاء على الماضى ؟! لقد وقع الخطأ ولم يعد هناك سبيل لتلافيه فلنحاول اذن ان نمحو آثاره او نعالجه

نعم يامستر هولمز •• كانت هناك عدة اشياء تستدعى تاملا خاصا فى الغرفة •• احدها حربة الصيد التى ارتكبت بها الجريمة

كانت هذه الحربة قد انتزعت من بين ثلاث وضعت على رف ثبت فى الجدار •• وظل مكانها شاغرا •• ولقد قرات العبارة التالية محفورة فوق الحربة « آلسفينةانيكرون ــ دندى » •• وكانت هـــذه الظاهرة سببا فى اعتقادى ان الجريمة وقعت فى لحظة غضب •• حيث انتزع القاتل اول شىء وقع عليه بصره وقد ثبت من وقوع الجريمة فى الساعة الثانية صباحا وبقاء بيتر كارى مرتديا ثيابه حتى هـــذه الساعة المتأخرة ان الرجل كان على موعد مع القاتل • ومما يؤيد هذه النظرية اننا عثرنا على زجاجة روم وقدحين قذرين فوق المنضدة

فقال هولمز معقبا : نعم •• اظن انك اصبت فى هـــذين الاحتمالين . . الم تكن هناك خمر اخرى غير الروم فى غرفة القتيل ياهوبكنز ؟

ـ نعم كان هنـــاك صندوق يحتوى على زجاجات من الكونياك والويسكى فوق صندوق الثياب •• ولكن هـــذا

الصندوق ليس بذى اهمية •• مادامت زجاجاته لم تفض
فقال هولمز : ربما يكون لوجودها معنى •• لكن دعنـا
تسمع اولا المزيد عن بقية الاشياء التى لها اهمية فى القضية
— كان هناك كيس تبغ فوق المنضدة
— اى جزء من المنضدة ؟
— فى منتصفها •• وقد صـنع من جلد قرش البحر الخشن •• وله رباط من الجلد •• وفى اسفله من الداخل كتب الحرفان (ب ك) وبداخله نصف اوقية من تبغ السفن اللاذع
— بديع ! ؟ هل من شىء آخر ياهوبكنز ؟ — نعم
واخرج مفكرة سنجابية اللون من جيبه •• ذات غلاف خشن بال واوراقها عديمة اللون وقدمها لهولمز فقلب هذا اولى صفحاتها وقرأ فيها الكلمات التالية «ج•ه•ن» عام ١٨٨٣
ولم يكتف صديقى بالقراءة السطحية فوضع المفكرة فوق المنضدة وشرع يفحص الكلمات بدقة عظيمة •• بينما رحت وهوبكنز نتطلع الي الكتابة من فوق كتفيه
وقلب صديقى الصفحة •• وقرأنا الاحرف التاليـة فى الصفحة الثانية : «ك•ب•ر» •
واعقب ذلك بضع صفحات تحتـوى على ارقام • ثم صفحات بها عنوانات مثل «الارجنتين» و « كوستاريكا » و «سان باولو» •• وكانت كل صفحة منها تحتوى عـلى رسومات وارقام
سأل هولمز : ماذا تستنتج من هذا كله ؟
— يخيل الى انها قوائم من سندات البورصة • فقد تبادر الى ذهنى ان احرف (ج•ه•ن) هى الاحرف الاولى من اسم احد السماسرة •• وقد تكون (ك•ب•ر•) هى الاحرف الاولى من اسم عميله ..
فقال هولمز : وهل فكرت فى «كانديان باسيفيك ريلوى»

اى «سكة حديد كندا» ؟
فعض ستانلى هوبكنز على ناجذيه .. وضرب فخذه بقبضة يده .. ثم هتف :
ـ يالى من أحمق ! ! كلا يامستر هولمز .. اذن لم يبق امامنا الا ان نهتدى الى معنى الاحرف « ك.ب.ر » .. لقد فحصت فعلا قوائم البورصة القديمة .. ولكنى لم استطع العثور على اسم احد السماسرة .. سواء داخل البورصة او خارجها .. يبدأ اسمه بهذه الاحرف .. ومع ذلك فانى اشعر بان الدليل الهام هو الذى سأذكره لك فى التو
لعلك توافقنى يامستر هولمز على انه من المحتمل ان تكون هذه الاحرف هى الاولى من اسم شخص ثان كان حاضرا او بعبارة اخرى .. الاحرف الاولى من اسم القاتل
وفوق ذلك .. اقول ان ظهور وثيقة تشير الى كميات كبيرة من الاسهم والسندات من شأنه ان يلقى ضوءا جديدا على القضية ويحدد لنا الدافع الى ارتكابها
فارتسمت على وجه هولمز دلائل الدهشة .. وخيل الى انه بوغت بهذا التطور الجديد
ثم قال : انى اوافقك على نظريتك .. واعترف لك بان هذه المفكرة ــ التى لم يذكر عنها شيء فى التحقيق ــ قد تحدث تعديلا كبيرا فى وجهة نظرى الى القضية .. فقد بنيت نظريتى دون ادخال هذه المفكرة فى حسابى .. ولكن اخبرنى ياهوبكنز .. هل تتبعت اثر احد المستندات التى تشير اليها ؟
ــ اننا نقوم الآن بالتحرى فى المحال الخاصة بذلك .. ولكن يؤسفنى ان اقول ان السجل الكامل لحملة اسهم جنوب امريكا موجود فى جنوب امريكا .. وانه قد تنقضى بضعة اسابيع قبل ان نتمكن من تتبع اثر هذه الاسهم
وكان هولمز يفحص غلاف المفكرة بعدسته المكبرة فى تلك

اللحظة .. وما لبث ان قال :

ـ بالتأكيد ان بعض اللون متغير فى هذه البقعة

فهتف هوبكنز : نعم ياسيدى .. هذه بقعة دم .. ولعلى قلت لك اننى التقطت هذه المفكرة من فوق ارض الكوخ

ـ وهل كانت بقعة الدم فوق الغلاف او اسفله ؟

ـ كانت فوق الجزء المقابل للالواح الخشبية .

ـ ان ذلك يدل بغير شك على ان المفكرة القيت فوق الارض بعد ارتكاب الجريمة .

ـ اصبت يا مستر هولمز .. لقد جال ذلك بخاطرى .. واستنتجت ان القاتل قذف بالمفكرة فوق الارض وهو يبادر بالفرار .. خاصة .. وقد عثرت عليها علي مقربة من الباب

ـ اظن انك لم تعثر على شىء من الاسهم التي تحدثت عنها بين متاع القتيل ؟

ـ كلا ياسيدى ..

ـ وهل لديك من الاسباب مايجعلك تعتقد ان الجريمة ارتكبت بسبب السرقة ؟

ـ كلا .. اذ يبدو ان القاتل لم يلمس شيئا مما فى الكوخ

ـ يالعجب !! ان هذه القضية تدعو الى الاهتمام بغير شك .. ننتقل بعد ذلك الى المدية التى ورد ذكرها فى التحقيق .. حدثنا بأمرها ياهوبكنز .

ـ كانت مدية من النوع الذى يوضع فى غمد خاص .. وقد عثرت عليها فى غمدها عند قدمى القتيل .. ولما عرضتها على مسز كارى .. قالت انها ملك لزوجها .

فأطرق هولمز .. وغرق فى تفكير عميق .

وبعد فترة ليست بالقصيرة .. رفع راسه .. وقال :

ـ ينبغي ان ازور الكوخ والقي نظرة علي محتوياته .

فهتف هوبكنز فى فرح الاطفال : شكرا لك يا سيدى الان استراح ضميرى . وانزاح عبء ثقيل عن كاهلي ..

ولوح هولمز بيده فى وجه مفتش البوليس وقال :
كان ينبغى ان اقوم بهذه الزيارة منذ اسبوع . اعنى
منذ وقوع الجريمة .. لكن من يدرى .. قد لا ابوء من
رحلتى فى الوقت الحاضر بالاخفاق .
وتحول الى وقال : اذا كان فى استطاعتك ان تضحى
ببعض وقتك ياوطسن فانه يسرنى ان ترافقنى فى هذه
الرحلة فقد تساعدنى على كشف الغموض المحيط بها .
ثم طلب الى هوبكنز ان يستدعى احدى المركبات .

***

هبطنا من القطار فى محطة فرعية صغيرة .. واستقللنا مركبة ، راحت تشق طريقها فى بقاع شاسعة كانت فيما مضى غابات واشجارا .. مما امتازت به مقاطعة سسكس ، ولكنهم ما لبثوا فيما بعد ان اقتطعوا اشجارها لينقبوا عن الحديد .. وسرعان ما انتشرت صناعة التعدين فى المقاطعة واختفت غاباتها واشجارها من عالم الوجود ..

واشرفنا فى النهاية على تل منحدر . شيد فوقه بيت من الحجر .. يوصل اليه طريق ملتو . يمر وسط الحقول .

ورأينا كوخا صغيرا يطل على الطريق العام .. وتحف به الاعشاب من ثلاث جهات .

كان هذا الكوخ مسرح الجريمة .

وقادنا ستانلى الى المنزل اولا .. فقدمنا الى امرأة بيضاء الشعر .. بدا الحزن والاعياء مسطورين على صفحة وجهها .

وكانت ارملة الكابتن بيتر كارى . وكانت نظرة واحدة الى وجهها الشاحب الهزيل كافية لان تفصح لنا عن مدى المتاعب التى عانتها المرأة المسكينة خلال الاعوام الطويلة التى قضتها فى رفقة زوجها الفظ .

ثم قدمنا هوبكنز الى ابنة القتيل . وهى فتاة ممتقعة

الوجه . ناعمة الشعر . شاردة النظرات .
ومن عجب ان الفتاة صارحتنا بأنها مسرورة لموت ابيها. وانها تبارك اليد التى قضت عليه حقا .. لقد ادركت فى تلك اللحظة مدى وحشية الرجل وقسوته . ولكنى مع ذلك لم اتمالك من الشعور بالاشمئزاز لنفسية الفتاة العجيبة .
وغادرنا المنزل عقب هذا التصريح الخطير ، وانطلقنا فى ممر جانبي انتهي بنا الي مسرح الجريمة ..
كان الكوخ مشيدا من الخشب . وبه نافذة مجـــاورة الباب . واخرى عند نهاية (الواجهة) .
واخرج هوبكنز مفتاح الكوخ من جيبه . وانحنى ليضعه فى ثقب القفل .. ولكنه مالبث ان جمد فى مكانه .. وقد قطب حاجبيه دليلا على الاهتمام المقرون بالدهشة .
وقال : يبدو ان شخصا قد عبث بالقفل .
وقد صدق هوبكنز .. اذ رأينا قطعا فى الخشب .. يجاوره عدة خدوش ازالت الطلاء الابيض .
وكان هولمز يفحص النافذة .. ومالبث ان قال : لقــد حاول بعضهم ان يفتح النافذة عنوة ولكنه اخفق فى دخول الكوخ .. لاشك انه كان لصا غير حاذق .
فقال المفتش معقبا : هذا امر يدعو لاشد العجب . انى علي استعداد لان اقسم ان هذه الاثار لم تكن موجودة فى هذه البقعة مساء امس .
فقلت محاولا ان اعلل وجود هذه الخدوش الحديثة :
ــ الا يحتمل ان الفضول دفع احد سكان القــرية الى محاولة دخول الكوخ ؟!
ــ هذا بعيد الاحتمال ياسيدى . لان القلائل من سكان هذه القرية هم الذين يجرؤون على السير فى هذه البقعة .. واقل منهم من يحاولون اقتحـــام الكوخ . ما رأيك يامستر هولمز ؟ .

ـ اظن ان الحظ يبتسم لنا .. ويترفق بنا .
ـ هل تعنى ان الفاعل قد يعيد الكرة ؟
ـ هذا شديد الاحتمال .. لقد جاء فى المرة الاولى وهو يتوقع ان يجد الباب مفتوحا .. فلما خاب سعيه .. حاول ان يفتحه بنصل مدية صغيرة جدا .. ولكنه فشل ايضا .. فماذا تراه يصنع ؟

ـ يعود فى الليلة التالية ومعه اداة ناجعة بغير شك .
ـ هذا ما اعتقده .. فلو تركناه يتم مهمته لعد ذلك خطأ جسيما من جانبنا .. والان لنلق نظرة على داخل الكوخ .

كانت اثار المأساة قد ازيلت .. بيد ان اثاث الكوخ ظل باقيا علي حاله لم تمسه يد .

وقضى هولمز ساعتين كاملتين وهو يفحص الكوخ قطعة قطعة بعناية ودقة عظيمتين .. ولكن ملامح وجهه كانت تفصح عن الهزيمة .. وعدم الارتياح .

ولم يتوقف هولمز فى بحثه الطويل الممل غير مرة واحدة فقط .. ثم سأل :

ـ هل نقلت شيئا من فوق هذا الرف ياهوبكنز ؟
ـ كلا ياسيدى .. لم انقل شيئا البتة .
ـ لكن شيئا كان موضوعا هنا قد اخذ .. لان طبقة الغبار فوق هذا الركن اخف منها فى سائر الاركان .. ومن الجائز ان هذا الشيء كان كتابا موضوعا فوق جانبه .. او انه كان صندوقا .

واطرق هولمز هنية .. ثم استطرد : لقد فرغت من فحصى ولم يعد ثم مااصنعه .. فدعنا نتمشى فى هذه الغابات الجميلة ياوطسن .. لنصغى الى اغاريد الطيور ونشم رائحة الورد العطرية .

والتفت الى هوبكنز .. وقال له سنعود الى مقابلتك هنا

فيما بعد يا هوبكنز ، لنرى ان كان فى أستطاعتك ان تحظى برؤية الرجل الذى قام بزيارة الكوخ اثناء الليل .

***

كانت الساعة قد جاوزت الحادية عشرة عندما التـــأم شملنا مرة اخرى .

وبدانا نرسم خطة العمـــــل .. فراى هوبكنز ان نترك باب الكوخ مفتوحا .. بينما قال هولمز ان ذلك من شـأنه ان يثير ريبة القادم .. وربما جعله يحجم عن الاقدام على على اى عمل .

وكانت حجة هولمز فى ذلك ان قفل الباب من النوع الردىء الذى يمكن فتحه بوساطة اى سلاح متين .

وقد اقترح ايضا ان نكمن فى انتظار القادم ، لافى داخل الكوخ ، ولكن بين الادغال والاعشـــــاب .. النامية حول اقصى نوافذ الكوخ .. وبذلك يتسنى لنا مراقبة القـــادم لو اضاء نورا ونعرف الغرض من رحلته السرية الغريبة .

***

كانت المراقبة مملة .. ولكنها كانت تحمل طابع مطاردة الصيد .. فشعرنا جميعا بتلك النشوة العجيبة التي يشعر بها الصياد عندما يكمن لفريسته مراقبا .. متلهفا .

وكنا جميعا نتساءل : ترى من عســــاء يكون الوحش القادم فى كيد الظلام ؟ ترى هل هو رجل جبار لن يؤخـــذ بغير قتال .. ام هو انسان ساذج يؤخذ بالحيلة والمفاجأة ؟

وظللنا كامنين فى مخبئنا بين الاعشاب .. والدقائق تمر ثقالا .. الي ان بلغ مسامعنا وقع اقدام قريبة .. فـدب النشاط فى اجسامنا . وتحفزنا للعمل

ولكن مالبث وقع الاقدام ان ابتعد .. فأدركنا ان واحدا من اهل القرية قد مر على كثب .. ولم يكن القــاتل هو القادم .

وساد الصمت من جديد .. ولم يكن يعكر صفوه غير دقات ساعة الكنيسة البعيدة بين الحين والحين .. معلنة

ادبار الليل واقبال الفجر .
وبدأ المطر يتساقط مدرارا .. ولكن اوراق الاشجار المريضة وقتنا من البلل .
ودقت الساعة النصف بعد الثانية .. واشتدت حلكة الظلام .. فلم يعد المرء قادرا على تمييز راحة يده .
وفجاة .. عكر صفو السكون صرير حاد متصاعد من ناحية بوابة الحديقة .. واعقب ذلك صـــوت وقع اقدام شخص يدلف الى الممر .
ثم ساد صمت طويل .. حتي بدأت ارتاب فى ان آذاننا قد خدعتنا .. بيد اننى ما لبثت ان ادركت ان اعتقادى هذا كان سابقا لاوانه .. عندما سمعت وقع اقدام متلصصة تسير فى الجانب الاخر من الكوخ .
وبعد هنيهة سمعنا صوت احتكاك اداة معدنية .. فأدركنا ان القادم يحاول فتح قفل الكوخ !
وقد نجح الرجل فى مهمته .. اذ مالبثنا ان ســـمعنا صوت القفل وهو يفتح .. ثم الباب وهو يدفع الى الداخل فيحدث صريرا خافتا .
واضاء المجهول عود ثقاب .. وان هى الا لحظة حتى غمر الضوء الكوخ من الداخل .
واتجهت انظارنا جميعا الى النافذة المضيئة .. ورحنـا نرقب مايدور بالداخل .
كان الزائر (الباسل) شابا فى ربيع العمـــر .. رفيع القامة.. له شارب اسود .. يزيد فى شدة امتقاع وجهه.
ولعمرى انى لم ار رجلا فى حياتى قد تملكه الذعر القاتل، مثلما كانت عليه حال هذا الشــاب .. فقد كنا نســمع اصطكاك اسنانه بوضوح .. ونرى ارتعاش اوصاله بجلاء .
وكان الشاب يرتدى ثيـــابا انيقة ، تتكون من قبعة من القماش .. وجاكتة (نورفولك) وبنطلون ركوب .

ورايناه يتلفت حوله فى ذعر وجزع .. وما لبثان وضع الشمعدان الذى اضاءه فوق المنضـــدة .. ثم اختفى عن عيوننا فى احد اركان الكوخ .

وعاد بعد قليل الى دائرة رؤيتنا .. وقد حمـل فى يده كتابا كبيرا يحتوى على نشرات احدى السفن .

ووضـــع الشاب السجل فوق المنضـــدة .. وراح يقلب صفحاته على عجل حتى وصل الى الصفحة التى ينشـدها .. فتوقف .. واطال النظر الى سطورها .. ولكنه مالبث ان اتي بحركة غامضة ولوح بقبضته فى الهواء .. ثم اغلق الكتاب .. واعاده الى مكانه .

واطفأ الشمعدان .. ولكنه ماكاد يهم بالانصرف.. حتى انقض عليه هوبكنز .. وامسك به من بنيقة (ياقة) سترته.

وسمعت شـــهقة فزع حادة .. فأدركت ان هوبكنز قد نجح فى مهمته وقبض على الشاب .

واضأنا الشمعدان من جديد .. فراينــــا علي ضـوئه الشـاب التعس وهو ينتفض من قمة رأســـــه الى اخمص قدميه .. وقد ارتسمت فى عينيه نظرة فزع قاتل .

وتهالك الشـاب فوق صندوق الثياب .. وتطلع الينـا بعجز ويأس ..

فقال له هوبكنز : من انت ياصـــديقى الانيـق ؟ وماذا جئت تفعل هنا ؟

فبذل الشاب مجهودا صادقا ليستجمع رباطة جأشـه .. ثم قال :

ـ اكبر ظى انكم من رجال البولس ؟! ولعلكم تتخيـلون ان بينى وبين مصرع الكابتن بيتر كارى صـــلة وثيقة .. ولكنى اؤكد لكم ، والله شهيد على ما اقول ، اننى برىء .

فقال هوبكنز : سننظر فى ذلك فيما بعد .. واما الان ، فما اسمك ؟

ـ اسمى جون نليجان ياسيدى .
فتبادل هولمز وهوبكنز نظـــرات سريعة ذات مغــزى لم يخف على
ـ وماذا جئت تصنع هنا ؟
ـ هل تعدوننى بالكتمان اذ افضيت اليكم بالسبب ؟
ـ كلا .. بالطبع .
ـ اذن لماذا اكشف لكم عن خبيئة نفسى ؟
ـ اذ لم تجب عن اسئلتنا الان ، فانك تسىء الى موقفك كل الاساءة اثناء التحقيق .
فانكمش الشاب ثم اجاب :
ـ حسنا .. اذن .. لامفر من الكلام . وسأتكلم . ولو انى اكره ان تبعث هذه الفضيحة الشائنة القديمة الى عالم الوجود مرة اخرى..الم تسمعوا من قبل عن قصة داوسون ونليجان ؟
تطلعت الى وجه هوبكنز ، فأدركت من قسماته انه لم يسمع بهذه القصة من قبل .. واما هولمز فكان الاهتمام الشديد ابرز شعور تجلى على صفحة وجهه .
وقال صديقى : اتعنى المصرفيين فى وست كنترى ؟ لقد اغتصبا مليـــونا من الجنيهات .. وبذلك قذفا بنصــف عائلات مقاطعة كورنول بين احضان الفقـــر .. ثم اختفى نليجان
ـ اصبت ياسيدى .. لقد كان نليجان ابى .
وفى التو .. ادركنا اننا بدأنا نرى طريقنا وسط الظلام البهيم .. ولو كانت لاتزال هناك ثغرة واسعة .. بين هذه الفضيحة المالية الكثيرة ، وبين مصرع الكابتن بيتر كارى .
مهما يكن من شىء ، فاننا لم نترك لخيالنا العنان ، ورحنا نصغي الي قصة الشاب باهتمام ولهفة ..
استـــطرد الشاب : لقد كان هو المســئول عن هــذه

بالفضيحة ، ذلك ان داوسون كان قد اعتزل العمل ، ولم تعد تربطه به اية صلة .
وكنت فى العاشرة من عمرى فى ذلك الحين ، ولكنى ادركت فداحة الخطب .. وهو الجرم ..
وكان الشائع علي السنة القوم ان ابي سرق الاسهم ولاذ بالفرار ، ولكنى اؤكد لكم ان ذلك غير صحيح ، فقد كان ابي يعتقد انه لو افسح له فى الوقت ، لاستطاع ان يدفع لكل مساهم قيمة اسهمه .
وقد ابحر ابى بيخته آلي النرويج قبل ان يستصدر البوليس امرا بالقبض عليه ، وانى لاذكر بوضــــوح وداعة المؤثر لامى ، وكيف تعلقت بعنقه وهو يقبلنى قبلة الوداع .
وقبل ان يرحل ، ترك لنا قائمة بالاسهم التى اخذها معه ، واقسم انه سيعود ليطهر شرفه من الاوحال التى لطخته ، وان من اودع ثقته فيه لن يندم .
ولم نسمع شيئا عنه بعد ذلك ، واختفت آثاره وآثار يخته اختفاء تاما ، فاعتقــــدنا ــ انا وامى ــ انه واليخت والاسهم ، قد استقروا جميعا فى جوف المحيط الى الابد .
وكان لنا صديق مخلص من رجال الاعمال ، وقد انبأنا هذا الصديق حديثا ، ان بعض الاسهم التى اخذها ابى معه قد عادت الى الظهور فى سوق لندن .
وفى استطاعتكم ان تقدروا مدى دهشتنا عندما سمعنا بهذا النبأ الغريب ، ولكنى ماكدت اسمعه ، حتى نشطت للعمل ، فقضيت الشهور الطوال وانا اتتبع اثر هذه الاسهم وبعد بحث طويل شاق ، اكتشف ان البائع الاصلى رجل يدعى الكابتن بيتر كارى ، صاحب هذا الكوخ .
وكان من الطبيعى ان اتحرى عن هذا الرجل ، وسرعان ماعرفت انه كان ربان احدى سفن الصيد ، وان سفينته كانت على وشك العودة من احــــدى رحلاتها الى البحار .

الشمالية فى نفس الوقت الذى كان يخت ابى يمخر عباب البحار الى بلاد النرويج :

وكان خريف هذا العام عاصفا ، تخللته سلسلة من الزوابع العنيفة ، فخيل الى ان يخت ابى قد تقاذفه النوء حتى الشمال ، وهناك التقى بسفينة الكابتن بيتر كارى .

فقلت لنفسى : اذا كانت الحقيقة ماتكهنت .. فماذا حل بأبى ؟!

وايقنت اننى لو استطعت الوقوف على كيفية ظهور هذه الاسهم فى السوق مرة اخرى .. وذلك باقناع الكابتن بيتر كارى بذكر قصته للمحققين .. لاثبت بذلك ان ابى لم يسرق الاسهم .. وانه لم يكن يسعى وراء ربح خاص عندما رحل بها .

وجئت الى سسكس وانا اعتزم مقابلة الكابتن .. ولكنى وصلت متأخرا مع الاسف .

كان الكابتن قد لقى حتفه قبل وصولى .. وقرأت فى التحقيق الذى اجراه البوليس وصفا دقيقا لقمرة القتيل .. وفيه ان الكابتن كان يحتفظ بنشرات السفينة التى كان قائدها .

وخطر لى اننى لو استطعت ان اعرف ماحدث على ظهر السفينة انيكورن فى شهر اغسطس عام ١٨٨٣ .. فقد اوفق الى معرفة مصير ابي .. ومن ثم حاولت ليلة امس ان اصل الي هذه النشرات .. ولكنى اخفقت فى فتح الباب الكوخ .. ومن ثم ارجأت البحث الى الليلة .. وساعدنى الحظ .. فاستطعت ان افتح الباب .. ولكنى ماكدت اقلب صفحات السجل .. حتى تبينت ان الأوراق التى تحتوى على حوادث هذا الشهر قد انتزعت منه .

وفى اللحظة التالية الفيت نفسى اسيرا بين ايديكم .

فسأله هوبكنز : اهذا كل مالديك ؟

فأجاب الشاب وقد زاغت نظراته : نعم .. هذا كل شيء.
ـ أليس لديك ماتضيفه الى ماقلت ؟
فتردد الشاب قليلا .. ثم اجاب :
ـ كلا .. ليس عندى ما أقوله غير ذلك ياسيدى .
ـ الم تأت الى هنا قبل ليلة امس ؟
ـ كلا ياسيدى ..
فهتف هوبكنز بحدة : اذن بماذا تعلل هذه ؟
واخرج المفكرة من جيبه .. وقلب اولى صفحاتها التى كانت تحمل الاحرف الاولى من اسم اسيرنا .. وبقعة الدم التى لطخت الغلاف .. ولوح بها فى وجه الشاب الذى ان انينا موجعا .. وصاح :
ـ اين عثرت علي هذه المفكرة ؟! لقد كنت اعتقد انني فقدتها فى الفندق ..
فقال هوبكنز بصرامة : فى هذا الكفاية .. اذا كان لديك ما تقوله . فاحتفظ به آلي وقت التحقيق .. هلم معي الان الى مركز البوليس .
والتفت هوبكنز الى صديقى هولمز .. وقال له :
ـ حسنا يا مستر هولمز .. اني عاجـز علي ما تـكبدته وصديقك من مشاق الحضور الى هنا لشـد ازرى ومد يد المعونة الى .. وهاقد اتضح انه لم يكن هناك مايدعـو الى مجيئكما .. فقد كان فى استطاعتى ان اصل بالقضية الى خاتمتها الناجحة بغيرك .. ولكن ذلك لن يقلل من شكرى لك على كل حال .. لقد احتجزت لكما غرفتين فى فندق براملبيت .. وفى استطاعتنا ان نسير معا الى القرية .
وفى صباح اليوم التالي عدنا ادراجنا الي لندن .
وفى الطريق سألنى هولمز : حسنا ياوطسن .. مارأيك فى هذه القضية ؟
فاجبته بصراحة : يبدو لى انك غير مرتاح . او مقتنع

ـ اوه .. كلا ياعزيزى وطسن.. انى مرتاح كل الارتياح ولكن وسائل هوبكنز لاتروق لى على كل حال . ويؤسفنى ان اقرر انني بدات اشعر بخيبة الامل من نحــوه .. لقد كنت آمل ان يبرهن على ذكاء ، وبعد نظر اكثر مما رايت اليوم.. ولكنى ياللأسف ! لقد خيب هوبكنز أملى ! فان سر نجاح الباحث الجنائى هو ان يتــوقع دائما حـــدوث طوارىء مفاجئة .. ويتخذ العدة لملاقاتها . ولكن هوبكنز دلل بتصرفه على غباوته وعلى انه لايقيم وزنا للمفاجآت .
ـ وهل هناك مفاجآت ، او تطورات محتمــلة فى هــذه القضية ؟.
ـ اوه ! انطريق البحث الذى كنت اتبعه يختلف اختلافا بينا عن ذلك الذى تبعه هوبكنز ومن المحتمل الا يقودنا هذا السبيل الى اية نتيجة مرضية .. ولكنى سأسير فيه الى النهاية على كل حال .

***

وعندما عدنا الي منزلنا فى بيكر ستريت .. وجد هولمز كوما من الرسائل فى انتظاره .. فالتقط احداها . وفضها .. وما لبث ان انفجر ضاحكا . ثم هتف :
ـ بديع جدا ياعزيزى وطســـن .. كنت احـــدثك عن المفاجآت .. وهاهى قد بدأت تظهر فعلا الى عالم الوجود .. هل عندك اوراق برقيات ؟ اذن ارجوك ان تتناول برقيتين . واكتب ما سأمليه عليك : « الى سمنر . وكيــل الملاحة فى راتكليف هايواى.. ارسل ثلاثة رجال ، على ان يصلوا فى الساعة العاشرة من صباح غد ـ باسيل » .
وقال هولمز موضحا : ان اسم باسيل ، هو الاسم الذى اعرف به فى هذه الانحاء ، والان الى البرقية الثانية ياعزيزى وطسن .. اكتب : « المفتش ستانلى هوبكنز ـ ٤٦ لورد ستريت ، بريكستون .. تعال لتتناول طعام الافطار معي

فى الساعة التاسعة والنصف من صباح غد . ان الامر هام. فاذا لم تستطع الحضور فأبرق الى — شرلوك هولمز .

وبعد ان فرغت من تجفيف البرقيتين . قال هولمز :

— لقد ظلت هذه القضية اللعينة تشغل بالي خلال الايام العشرة الاخيرة ياوطسن.. ولكنى استطيع الان ان اصرف نظرى عنها . فغدا سنسمع عنها لاخر مرة .

***

وفى الوقت المحدد بالضبط .. وصل ستانلى هوبكنز فى صباح اليوم التالى .

وجلسنا جميعا نتناول طعـــام الافطار . وكان مفتش البوليس فى اشد حالات المرح . لما اصاب من توفيق .

فسأله هولمز : هل تعتقد حقا ان الحل الذى وصـــلت اليه هو الحل الصحيح ؟

— ليس فى استطاعتى ان اتخيل ان هناك قضية انتهت بالسهولة التي انتهت اليها هذه القضية .

— ولكنها لاتبدو كذلك فى نظرى !

— انك تروعنى بامستر هولمز . ما الذى يبغيه المرء اكثر من توفر مثل الادلة التى توفرت لنا فى هذه القضية الشاذة

— وهل تعتقد ان جميع نقط القضية قد وضحت تماما ؟

— بغير شك . لقد تبين من البحث ان نليجان وصل الى فندق راملبيت ليلة قوع الجريمة بالذات . وقد ادعي انه جاء الى هذه البقاع للعب الجولف . وكانت الغرفة التى احتجزها فى الطابق الارضى . فلا ريب اذن فى انه — عندما غادر الفندق اثناء الليل — ذهب لمقابلة الكابتن بيتر كارى فى كوخه . ولا ريب ايضا فى ان الجدال احتـــدم بينهما . فاشتجرا .. ولم يتمالك الشاب غضبه .. فقتل الكابتن بحربة الصيد .

ولما ادرك شناعة جرمه . بادر بالفرار .

وفى اثناء اندفاعه الى خارج الكوخ . سقطت منه المفكرة التى جاء بها ليناقش الكابتن بيتر كارى فى شأن الاسهم المختلفة التى تضمنتها .

ولعلك لاحظت ان بعض هذه الاسهم قد اشير امامه بعلامة خاصة . بينما بقيت الاغلبية بغير علامة .. اما التى وضعت امامها العلامات فالاسهم التى امكن تتبعها فى سوق لندن .. ويحتمل ان تكون بقية الاسهم مازالت فى جوزة كارى .

واذا اخذنا بأقوال نليجان ، فاننا ندرك انه كان يتلهف لاستعادة هذه السندات .. ليدفع لدائنى ابيه حقوقهم .. فلما لاذ بالفرار لم يجرؤ على الاقتراب مرة اخرى من الكوخ بعض الوقت .. واخيرا ، بذل جهوده الجبارة فى القيام بهذه المحاولة .. لعله يظفر بالمعلومات التى يحتاج اليها

اظن ان القضية واضحة تماما يامستر هولمز .

فابتسم شرلوك هولمز ابتسامة باهتة .. وهز راسه سلبا ثم اجاب :

— يخيل الي ان لهذه النظرية نقطة ضعف واحدة يا هوبكنز .. وهي استحالة صحتها ، هل حاولت ان تنفذ حربة صيد من خلال اى جسم ؟ كلا ؟ بديع .. يا سيدى العزيز .. ينبغي حقا ان تولي اهتمامك دائما الي مثل هذه التفاصيل .. فى استطاعة صديقي وطسن ان يخبرك انني قضيت صباح أحد الايام فى اجراء هذه التجربة .. واتضح لي بما لا يقبل الجدل انها تحتاج الي ذراع قوية مدربة .. ولعلك توافقني علي ان الطعنة التي اصابت بيتر كارى كانت من العنف بحيث نفذ سن الحربة من ظهره واستقرت الي مسافة غير قليلة فى جوف الجدار الخشبي وراءه فهل يدور بخلدك ان هذا الشاب الهزيل يستطيع ان يفعل ذلك ؟! وهل ترى انه الرجل الذى عب الخمر عبا مع بلاك بيتر فى جوف

الليل ؟! وهل كان وجهه ذلك الذى رؤى منعكسا على ستار النافذة قبل وقوع الجريمة بيومين ؟ لا .. لا .. ياهوبكنز ينبغي ان تبحث عن رجل اخر اشد مراسا واقوى بنيه من هذا الشاب الهزيل .

ما كاد هوبكنز يسمع عبارات هولمز حتى قطب حاجبيه ولاح عليه الارتباك والحيرة .. وبدت الامال المريضة التي بناها علي نجاحه فى هذه القضية الكبيرة تتقوض وتنهار امام عينيه ولكنه ، مع ذلك ، لم يشأ ان يستسلم بهذه السهولة

قال : ليس فى استطاعتك ان تنكر ان نليجان كان موجودا فى تلك الليلة يا مستر هولمز ، ان المفكرة وحدها اكبر دليل علي وجوده .. وفى اعتقادى انني املك من الادلة مااستطيع به ان اقنع اى محلف بوجاهة نظريتى .. حتى لو وفقت يا عزيزى وطسن الي احداث ثغرة فيها ، وفوق ذلك .. لقد ظفرت برجلي فابحث انت اذن عن الرجل الجبار الذى تتحدث عنه ، ترى هل تعرف اين مقر رجلك هذا ؟

نطق هوبكنز بالعبارة الاخيرة بسخرية لاذعة .. فأجاب هولمز برزانة :

ــ اكبر ظني انه يرتقي الدرج فى هذه اللحظة .. فيحسن بك يا وطسن ان تضع مسدسك فى متناول يدك .

ونهض هولمز واقفا .. ووضع ورقة مكتوبة فوق نضد جانبي .. ثم استطرد :

ــ هل نحن جميعا علي استعداد ؟

سمعنا فى تلك اللحظة صوتا خشنا يتحدث بالخارج .. وبعد هنيهة فتحت مسز هدسون باب الغرفة .. واعلنت ان بالخارج رجالا يستفسرون عن الكابتن باسيل

فقال لها هولمز : ادخليهم واحدا بعد الاخر يا مسز هدسون

كان اول القادمين رجلا ضئيل الجسم شديد احمرار الوجه .. ابيض الشعر

واخرج هولمز رسالة كانت فى جيبه .. وسأل القادم :
ـ ما اسمك يا هذا ؟
فاجاب الرجل : جيمس لانكستر .
ـ اني اسف يا لانكستر ، لقد ازدحم « العنبر » . اليك نصف جزاء لك على ما تكبدت من مشقة الحضور ، ارجوك ان تدخل هذه الغرفة .. وتنتظر بضع دقائق .
وكان الرجل الثاني طويل القامة ، بارز عظام الوجنتين ، مجعد الشعر
ولما سأله هولمز عن اسمه ، اجاب :
ـ هيوج باتنز ايها الزعيم
وتلقى الرجل نفس الجواب من هولمز .. وادخل الي الغرفة المجاورة للانتظار
وكان الطالب الثالث رجلا ضخم الجثة ، عريض المنكبين له وجه يشبه وجه الكلاب الشرسة .. ولحية كثة .. وعينان سوداوان يعلوهما حاجبان كثان ايضا
وحيانا القادم باحترام .. ووقف امامنا تلك الوقفة الرسمية التى يقفها البحار امام ربانه .. واخذ يقلب قبعته بين يديه
فسأله هولمز : ما اسمك يا صديقي ؟
ـ باتريك كرانيز يا سيدى
ـ هل انت صياد ؟
ـ نعم .. لقد اشتركت فى ست وعشرين رحلة من رحلات الصيد
ـ لعلك ذهبت الي دندى ؟
ـ نعم يا سيدى
ـ وهل انت على استعداد للانضمام الي احدى السفن فى رحلة جديدة للصيد ؟
ـ بالتاكيد يا سيدى

ـ وما الأجر الذى تطلبه ؟
ـ ثمانية جنيهات فى الشهر يا سيدى
ـ وهل فى استطاعتك ان تبحر فورا ؟
ـ نعم .. فقط ارجو منحي مهلة قصيرة لاعداد ثيابي وامتعتي .
ـ وهل معك اوراقك ؟

فأجاب الرجل : نعم يا سيدى .. انها معي الان

واخرج باتريك كرآنيز حزمة من الاوراق والوثائق البالية من جيبه .. وقدمها لهولمز .. فألقي هذا نظرة عابرة عليها ثم اعادها الي صاحبها .. وقال :

ـ انك الرجل الذى احتاجه .. ان العقد موضوع فوق هذه المنضدة الجانبية .. فاذا وقعته ، انتهي كل شيء يا صديقي

فعبر البحار الغرفة .. والتقط القلم .. ثم مال فوق النضد .. وسأل : هل اوقع هنا ؟

فمال هولمز فوق كتفه .. ثم احاط عنقه بيديه ... وقال :

ـ فى هذا الكفاية يا رجل !!

وسمعت صلصلة صلب .. اعقبه صوت زفير قوى اشبه بزفير الثور

وفى اللحظة التالية كان هولمز والبحار يتدحرجان فوق الارض .. وكلاهما يحاول صرع صاحبه .. او علي الاقل شل حركته

وكان البحار عملاقا .. تتفجر القوة من نواحيه .. وبرغم القيد الذى نجح هولمز فى احاطته بمعصميه فجأة وبالحيلة .. فقد خيل الي انه يكاد ان يصرع صديقي .. فخففت لانقاذه .. ولكني لم استطع ان اكبح جماح البحار

الا عندما الصقت فوهة مسدسي برأسه .. وانذرته باطلاق النار ان لم يكف عن المقاومة

وتعاونا علي شد قدميه بحبل رفيع متين .. ونهضنا لاهثين

وقال هولمز لمفتش البوليس : ارى ان من واجبي ان اقدم لك الاعتذار يا هوبكنز .. فأكبر ظني ان الطعام قد برد .. ولم يعد مستساغا .. ولكني اعتقد انك ستشعر بلذته عندما تعلم ان قضيتك قد انتهت اخيرا بالنجاح الذى كنت تترقبه خلال الايام العشرة الاخيرة

ففغر ستانلي هوبكنز فاه دهشة . وارتج عليه . وبعد فترة طويلة استطاع ان يجد صوته ، فقال بتلعثم ، وقد احمرت وجنتاه :

ــ لست اعرف ماذا اقول يا مستر هولمز ، يخيل الي انني كنت اندفع بحماقة وراء اوهامي منذ البداية .. لقد ادركت الان ما كان ينبغي الا اغفل عنه طرفة عين . وذلك انني التلميذ . وانك المعلم . صحيح ، انني رايت ماذا صنعت ولكني ــ برغم ذلك ــ لا استطيع ان ارده الي اسبابه الصحيحة . او اعرف الدافع اليه .

فابتسم هولمز . وقال : حسنا يا صديقي . سوف تعلمنا التجارب . علي انني انصحك دائما ان تضع الاحتمالات الماكنة لكل نظرية تكونها نصب عينيك . لقد كنت متفرغا بكليتك للتفكير فى امر نليجان ، ولم تجد من نفسك ميلا للتفكير فى امر باتريك كرانيز القاتل الحقيقي . فكدت بذلك توقع برجل برىء ، وتترك الفرصة للمجرم ليلوذ بالفرار .

وهنا صاح البحار الاسير بصوت صدىء :

ــ اصغ الي يا مستر .. انا لا اشكو لانك اقتنصتني بهذه الوسيلة البارعة ، ولكني ارفض ان ادعك تستمر فى اتهاماتك الخاطئة ، لقد سمعتك تقول انني قتلت بيتر كارى

وانا لا انكر ذلك ! لكنك فقط اسأت التعبير .

فقال هولمز بتلطف : احقا ؟ اذن حدثنا بالوقائع الصحيحة

ـ عما قريب سيعرف كل شيء . ووالله ان كل كلمة سانطق بها هي الحق الصراح

وتبدلت سحنة الرجل . فانفرجت اساريره وبدا عليه الهدوء والرزانة .. ثم شرع يسرد قصته ..

قال : كنت اعرف بلاك بيتر جيدا ، فعندما استل مديته ، عاجلته بطعنة من حربة الصيد كانت القاضية عليه، ولا اكتمك انه لم يكن هناك مفر من قتله ، لانني اذا لم اقتله قتلني . ومن هذا يتضح لكم كيف لقي بلاك بيتر حتفه ، انكم تقولون انني ارتكبت جريمة القتل . ليكن ، اني افضل ان اعلق فى حبل المشنقة على أن اترك بلاك بيتر يغمد مديته فى قلبى .

فسأله هولمز : ولماذا ذهبت الي كوخه ؟ .

ـ ساحدثكم بالقصة منذ بدايتها ، فقط اجلسونى حتى استطيع الكلام بسهولة .

وعندما اجلسناه فى وضع مريح ، بدأ يحدثنا بقصته ، قال :

ـ حدث ذلك فى شهر اغسطس عام ١٨٨٣ . كان بيتر كارى سيد السفينة انيكورن وكنت صيادا احتياطيا ، وكنا عائدين من رحلتنا الى الوطن . والانواء شديدة العنف .. والزوابع تتقاذف السفينة . حتي اخرت موعد وصولنا اسبوعا . وفى الطريق التقينا بيخت فاخر قذفته الزوابع الي البحار الشمالية . وكان فوقه رجل واحد ينم مظهره عن الثراء الواسع

وقد ظن زملائى ان اليخت علي وشك الغرق . ولذا هجره بحارته .. واستقلوا قوارب النجاة محاولين الوصول الي شاطىء النرويج . واما انا فاعتقدت انهم غرقوا عن بكرة ابيهم .

صفوة القول .. انتشلنا واكب اليخت . وما كاديستقر بوق سفينتنا حتي انفرد بالربان فى قمرته . وتبادلا حديثا طويلا .

ولما كان متاع الرجل الذى انتشلناه يتكون من صندوق صغير من الصفيح . فقد ظل اسمه مجهولا منا .

وفى الليلة التالية اختفي الرجل تماما ، ولم يظهر له اثر ، فاعتقد البحارة انه اما ان يكون قد القي بنفسه فى اليم لسوء الحالة الجوية ، وصعوبة الرحلة واهوالهـا . او انه هوى فيه صدفة .

بعلي ان شخصا واحدا كان يعرف ماذا حدث الرجل .. وكنت انا هذا الشخص .. فقد رايت الربان بعيني رأسى وهو يقذف بالرجـل الي اليم فى جنح الليـل . بيـد اني حرصت علي كتمان السر . وانتظرت ريثما ارى النتيجة

وعندما وصلنا الي الوطن اذاع الربان ان رجلا غريبامات مريضا فى عرض البحر ، فاضطر الي القـائه فى اليم تبعـا لقوانين البحار . وبذلك استطاع ان يسدل الستـار علي المأساة .. ويذر الرماد فى العيون .

وبعد فترة قصيرة ، اعتزل بيتر كارى العمـل واختفي تماما .

ورحت ابحث وانقب لعلني اهتدى اليـه ... ومضت اعوام طويلة قبل ان اعرف مكانه

وكنت قد حدست بانه اقدم علي قتل الرجل الغـريب طمعا فى الصندوق الذى كان معه ..

وايقنت انه اصبح فى حالة مالية حسنة تساعده علي مدى بمبلغ من المال نظير كتماني للسر

وقد استطعت ان اعرف مكانه من بحار كان قد قابلهفى لندن .. فاسرعت لمقابلته لكي اطالبه بنصيبي من الغنيمة وكان اول لقاء بيننا هادئا مشبعا بروح التفاهم من جانبه

.. فقد وعدني بأن يمنحني مبلغا من المال يغنيني عن العمل بقية حياتي

واتفقنا علي ان نسوى المسألة بعد يومين ، ولكني وجدته ثملا عندما جئت لمقابلته فى الموعد المضروب ، وكان فى حالة نفسية مخيفة

وجلسنا نتجاذب اطراف الحـديث ، ونحتسى كؤوس الخمر وكلما ازددنا شربا ، زادت حال بيتر كارى سوءا ، واشتد وجهه عبوسا ، وارتسمت عليه نذر الشر .

وتصادف ان وقع بصرى علي حراب الصـيد ، فقلت لنفسى انها خير سلاح الجأ اليه اذا دعت الضرورة لذلك

وفى نهاية الحديث ازاح الكابتن الستار عن نواياه ، وانفجر صاخبا شاتما ، بينما انبعث من عينيه بريق ينطوى علي الجريمة

وفجأة ، استل مدية ضخمة ، وتحفز للانقضاض علي ، ولكني كنت علي استعداد لاتقاء هجومه . فتجنبت الطعنة وانتزعت احدى الحراب ، وغيبتها فى صدره بكل قوتي حتي نفذت من ظهره والصقته بالجدار الخشبي ..

واطلق بيتر كارى صرخة مروعة ، ولعمرى اني مازلت اذكر وجهه المخيف وهو ينظر الي نظرة يتجسم فيها حقده الشديد

ووقفت فى وسط الكوخ والدم يتفجر من صدر الرجـل كالينبوع

وكان هول الموقف قد انساني نفسى ، ولكني ما لبثت ان ادركت خطورة موقفى ، فأصخت السمع ، ولكن السـكون شاملا ، والهدوء مستتبا ، فبدأت استعيد رباطة جأشى

وتلفت حولي ، ووقع بصرى علي الصندوق الصفيح فوق احد الارفف ، ولما كان من حقى أن أستولى عليـه بعـد أن مات صاحبه ، فقد التقطته ، وغادرت الكوخ .

ولكنى نسيت كيس تبغي فوق المنضدة

وتمهل البحار هنيهة ريثما يلتقط انفاسه ، ثم استطرد :

ـ ساحدثكم الآن باغرب شطر فى القصة ، ما كدت اغادر الكوخ حتي سمعت وقع اقدام شخص مقبل ، فاختبأت بين الادغال ، وانتظرت

وبعد هنيهة رأيت رجلايتسلل من بين الاشجار ، ويدخل الي الكوخ ، بيد انه ما لبث ان هرول خارجا منه علي عجل، كما لو كان قد راى شبحا مخيفا ، واندفع يركض بكل قوته حتي غاب عن عيني

اما من كان هذا الرجل ، وماذا كان يريد من الكوخ ، فهذا ما لا اعلمه حتي الآن.

واستأنفت رحلتي سيراً علي الاقدام حتي وصلت الي محطة ويلز ، فركبت القطار الي لندن ، وانا جد مطمئن الي ان احداً لم يرتب فى امرى

وعندما فتحت الصندوق ، واخذت افحص محتوياته ، لم اجد فيه نقودا ، او أشياء ثمينة . وفقط وجدت اسهما لم اجرؤ علي عرضها فى السوق

ولما كان بلاك بيتر قد مات ، وكنت مفلسا ، فقد ادركت اننى ساضطر الى الاستجداء او السرقة ان لم اجد لى عملا ، او ان اعود الي استئناف مهنتي القديمة

واتفق ان طالعت اعلانا فى احدى الصحف ، يقول فيه ناشره انه بحاجة الي صيادى قرش البحر للقيام برحلة الي البحار الشمالية نظير اجر مرتفع .. ومن ثم ذهبت الي مكتب الملاحة مستفسراً فارسلوني الي هنا

تلك هى قصتي كلها .. ولكني اعود فاقول ان واجب القانون فى ان يقدم الي شكره لاننى قتلت بلاك بيتر .. وارحت العالم من شروره .

فنهض هولمز واقفا علي قدميه .. واشعل غليونه .. ثم قال :

ـ ان قصتك واضحة كل الوضوح يا صديقي

والتفت الي هوبكنز .. واستطرد : اظن انه ينبغي الا تضيع وقتا يا صديقي فى نقل سجينيك الي مكان امن .. لان هذه الغرفة لا تصلح لان تكون زنزانة .. ومستر باتريك كرانيز يشغل حيزا كبيرا منها

فقال هوبكنز : اني عاجز عن تقديم شكرى اليك يا مستر هولمز .. وحتي الان لا استطيع ان افهم كيف امكنك ان تحصل علي هذه النتيجة

ـ ذلك لاني كنت سعيد الحظ .. وحصلت علي الاثر الصحيح منذ بداية البحث .. علي انى اقول لك ، انه لو وقعت المفكرة فى يدى اول الامر .. فمن المحتمل انها كانت قد غيرت مجرى افكارى وبحثي ، كما كان شانك .. ولكني سرت فى اتجاه اوحت به جميع الظروف والملابسات .. فهناك قوة القاتل الهرقلية .. ومهارته فى استعمال حربة الصيد .. والروم المخفف بالماء .. كل هذه الملابسات كانت تشير الي بحار .. وبحار اخصائي فى صيد الحيتان وقرش البحر

كنت مطمئنا الى ان حرفى «ب.ك» المطبوعين فوق كيس التبغ مجرد مصادفة ، وان الكيس لم يكن فى يوم من الايام ملكا لبيتر كارى لانه قليل التدخين .. فضلا عن انكم لم تعثروا علي غليون فى قمرته .

ولعلك تذكر انني سالتك ان كنت قد عثرت علي ويسكي وكونياك فى الكوخ .. فاجبتني بالايجاب .. وعندئذ زدت يقينا من انه ينبغي ان ابحث عن القاتل بين رجال البحر

.. اذ قلما يقبل رجل مادى علي احتساء الـروم طالمـا فى استطاعته الحصول علي لون اخر من الخمر

ـ لكن كيف أستطت العثور عليه ؟

ـ بعد هذه التفاصيل ضاقت حلقة البحث .. فاذا كان القاتل بحارا ، فلا ريب انه احد بحارة السفينة أنيكورن اذ ان بيتر كارى لم يشتغل طول حياته فى غير هذه السفينة .. ومن ثم صرفت ثلاثة ايام وانا اتصل بشركة دندى .. وفى نهايه اليوم الثالث ، جاءتني قائمةباسماء بحارةالسفينة المـذكورة عام ١٨٣٨ ، ولما عثرت علي باتريك كـرانيز بين الصـيادين ، بدأت دائرة بحثى تزداد ضـيقا وتقترب من النهاية .

وقلت لنفسى ان الرجل لا يزال موجودا فى لنـدن وانه بغير شك يرغب فى مغادرتها بعض الوقت .. ومن ثم قضيت بضعة ايام فى ايست اند .. ورسمت خطة رحلة الي البحار الشمالية .. ووعدت بدفع اجور مغرية لصيادى الحيتان الذين يقبلون العمل تحت امرة الكابتن باسيل .. فـانظر ماذا كانت النتيجة !؟

فصاح هوبكنز : بديع ! بديع

فقال هولمز : ينبغي ان تستصدر امرا بالافراج عن نيجان فى اقرب فرصة .. انى اعترف بأنه من واجبك ان تعتذر له عن تصرفك الخشن ازاءه .. كما ينبغى ان يعاد اليـه الصندوق الذى سرقه البحار من الكابتن .. واما الاسهم التي باعها بيتر كارى فقد ضاعت الي الابد بالطبع .. آه ! ها هى المركبة قد جاءت يا هوبكنز فانقل اليها رجلك .. واذا استدعي التحقيق وجودى فان عنواني ووطسن سيكون فى جهة ما من النرويج .. وفيما بعد سأبعث اليك بالتفاصيل

القسم الرابع

المحتـال

لقد انقضت الان اعوام طويلة علي الحادث الذى سأسرده ومع ذلك فانى استميح القارىء عذرا اذا كتمت عنه بعض تفاصيل القضية التي لا تؤثر فى هيكلها محافظة علي اسرار ابطالها الاصليين .

كنا قد خرجنا ـ انا وهولمز ـ للتريض فى احدى الحدائق العامة .. وعدنا ادراجنا الى المنزل فى الساعة السادسة مساء .

وما كاد هولمز يضىء المصباح حتي سقط ضوؤه علي بطاقة فوق المنضدة .. فتطلع اليها . ثم صاح بحنق .. وقذف بها الي الارض .

فانحنيت والتقطت البطاقة .. وقرات فيها ما يلي :

شارلس اوغسطوس مليفرتون

هامبستيد

سألت هولمز : من هذا الرجل ؟

فأجاب وهو يجلس امام المدفاة .. ويمد ساقيه : انه اسوا رجل فى لندن .. آدر البطاقة وانظر ان كان قد كتب شيئا فوق ظهرها .

فقلبتها وقرات العبارة التالية : سأعود فى الساعة السادسة والنصف

ـ آه ! لقد كاد الموعد الذى حدده ان يأزف ، اخبرني يا وطسن ، الا تشعر بفزع عندماتقف إمام الثعابين والحيات السامة فى حديقة الحيوان ؟ بالطبع نعم .! آنى ايضا احس بالانقباض والفزع عندما انظر الي وجه مليفرتون ومع ذلك فانني مضطر الي لقائه ، وقد دعوته لشئون عملية

ـ لكن من يكون ميلفرتون هذا يا صديقي ؟

ـ انه امير المحتالين يا وطسن ، ان السماء تشد ازر هذا الرجل ، كما تساعده النساء التي تضع الاقدار اسرارهن وشرفهن بين يديه ، واما هو فينقض عليهن والابتسامة الرقيقة مرتسمة علي شفتيه .. ويعصرهن شيئا فشيئا حتي يتركهن فى النهاية كالاوراق الجافة ، الحق أن ميلفرتون عبقرى فى فنه ، واو استخدم ذكاءه هذا فى عمل شريف لنبغ فيه ، ولكنه ـ مع الاسف ـ يؤثر حرفته علي اية حرفة اخرى ، واليك الوسائل التي يستخدمها مع ضحاياه : يبدا بالاعلان انه علي استعداد لان يدفع مبالغ ضخمة ثمنا للرسائل التي تسيء الي سمعة اصحاب المراكز العالية الثراة .. ومن ثم يتلقي كتبا ليست من الخدم والوصيفات الخائنات ، ولكن من المجرمين والافاقين الذين ينصبون الشباك حول الفتيات الساذجات اللاتي يقعن فى حبائلهم . ويرسلن اليهم رسائل غرامية لو اذيعت لقضت عليهن قضاء مبرما .. وفوق ذلك ، فان ميلفرتون يحرص علي الا يتعامل مع النساء الشحيحات لئلا يؤثرن التضحية بسمعتهن علي التفريط فى مالهن .. وقد سمعت انه نقد احد الخدم سبعمائه جنيه فى مقابل الحصول علي مذكرة لا تتعدى سطرين .. وكانت النتيجة القضاء علي احدى العائلات النبيلة فى المملكة

ان مئات من ثراة هذه المدينة تبيض وجوههم لمجرد ذكر ميلفرتون هذا .. وما من احد يعلم من ستكون ضحيته القادمة .. لانه يحرص علي كتمان اسراره حرصا شديدا وقد يحتفظ باحدى البطاقات اعواما طويلة ، حتي يجد الفرصة المواتية لربح اعظم .. وعندئذ يضرب ضربته القاضية .. فيشن حرب الاعصاب المحطمة علي فريسته .. فاما ان يظفر بطلباته كلها .. او يلطخها بالاوحال ..

كان هولمز يتكلم بصوت يفيض بالاسى والالم .. فقلت له :

ـ لكن لا شك ان فى استطاعة العدالة ان تقتص منه ؟
ـ نعم .. ولكن ليس الي الحد الذى فيه القضاء عليه .. اذ ماذا ينفع المراة مثلا ان يحكم عليه بالسجن بضعة شهور ، بعد ان اصبحت سيرتها مضغة فى الافواه ؟! ان ضحاياه لا يجرؤون علي مهاجمته .. واو زل الرجل مرة.. وهاجم شخصا بريئا .. فعندئذ . وعندئذ فقط يمكن القضاء عليه .. ولكنه ـ مع الاسف ـ شيطان داهية

كلا يا عزيزى وطسن .. ينبغى ان نبحث عن وسيلة اخرى لاقتناصه

ـ ولكن لماذا استدعيته لمقابلتك ؟

ـ لان موكله ذات شخصية بارزة عهدت الي بتولي قضيتها المؤسية . انها ليدى براكويل احدى درر مجتمعنا الراقى. وخطيبة ايرل اوف دوفر كورت . لقد استطاع ميلفرتون اللعين ان يحصل علي بضع رسائل « غير لائقة » كانت الليدى ارسلتها الي شاب من الوجهاء فى الريف. ولواذيعت هذه الرسائل لطار الخطيب من يد الليدى . وقد هدد ميلفرتون صاحبة الرسائل بتسليمها ـ اى الرسائل ـ الى الايرل اذا لم تدفع له مبلغا كبيرا .. فانتدبتني الليدى لمقابلته . والاتفاق معه علي اقل مبلغ ممكن

وفى تلك اللحظة سمعنا كر عجلات مركبة فى الخارج . وما لبثت ان توقفت امام الباب وبعد هنيهة ، ادخلت مسز هدسون القادم

وكان مستر شارل اوغسطوس ميلفرتون رجلا قصير القامة . ضخم الراس . يشع من عينيه بريق الذكاء ، والجاذبية . وتنفرج شفتاه بابتسامة باردة .. وله صوت ناعم رقيق يستهوى سامعه . واما عن اناقة ثيابه ، فحدث ولا حرج

وتقدم الزائر من هولمز . واعرب له عن اسفه لانه لم

بحظ بشرف لقائه عند زيارته الاولى لم يبسط يده مصافحا ولكن هولمز تجاهل اليد المبسوطة اليه . وتطلع الي محدثه ببرود تام . فابتسم هذا ، وهز كتفيه استخفافا . وخلع معطفه ، ثم وضعه بعناية تامة فوق احد المقاعد ، وجلس فوق مقعد اخر . وقال وهو يشير الي :

ـ هل من اللياقة ان نتحدث بحضور هذا السيد ؟

فأجابه هولمز ببرود : ان الدكتور وطسن صديقي وشريكى .

ـ حسنا جدا يا مستر هولمز . اني فقط اعترضت لمصلحة موكلتك . لان القضية كما تعلم دقيقة جدا ..

فقاطعه هولمز قائلا : انه يعرف كل شيء عنها .

ـ اذن فلنتحدث فى الشئون العملية .. انت تقول انك تعمل لحساب الليدى ايفا ، فهل خولتك حق قبول طلباتي؟

ـ وما هى هذه الطلبات ؟

ـ سبعة الاف من الجنيهات

ـ وما الرقم المعدل ؟ .

ـ انه لمما يؤسفني ان اقرر لك يا سيدى الا سبيل الي تعديل هذا الرقم .. فاذا لم يدفع لى فى ميعاد اقصاه يوم ١٤ ، فان زواج الليدى لن يتم فى موعده ، اى يوم ١٨

فاطرق هولمز مفكرا . ثم ما لبث ان قال . يخيل الي انك تملى شروطك املاء .. وانك تعتقد الا سبيل الي نقضها . بالطبع انا اعرف ما هى محتويات الرسائل التي فى حوزتك .. ولا نزاع فى ان موكلتى ستعمل بالنصيحة التى سأسديها اليها ولذا فقد اعتزمت ان انصحها بأن تصارح زوجها المستقبل بكل قصتها . وتضع مصيرها بين يديه .. ولا احسبه الا ضاربا صفحا عن الماضى .

فانفجر ميلفرتون ضاحكا ، وقال : انك بلا شك لا تعرف الايرل جيدا :

فتجلت على وجه هولمز معالم الحيرة .. وعندئذ ادركت ان محدثه اصاب الهدف .

وسال : وما وجه الخطورة فى هذه الرسائل ؟

ـ انها رسائل رقيقة . متناهية فى الرقة ياسيدى ، ولاعجب . فالليدى كاتبة رشيقة .. ومنشئة قديرة . ولكنى اؤكد لك ان ايرل اوف دوفر كورت لن ينظر اليها من ناحية انها قطع ادبية ممتازة ، اما وانت تعتقد غير ذلك ، فلنترك الامور تسير فى السبيل المرسوم لها .

ونهض المحتال واقفا . ومد يده ، والتقط معطفه الثمين فاحمر وجه هولمز من فرط الغضب والحنق .. وهتف :

ـ صبرا لحظة .. فانى ساحاول بغير شك ان اتجنب الفضيحة فى مثل هذه المسالة الدقيقة

فعاد ميلفرتون الى الجلوس . وقال ساخرا :

ـ كنت واثقا من انك ستنظر الى المأساة على ضوئها الحقيقى

فقال هولمز : اذن ينبغى ان تعلم ان الليدى ايفا ليست غنية . وانى اؤكد لك ان الفى جنيه كافية لان تهز ثروتها هزا عنيفا . ولذا فانه من المستحيل عليها ان تدفع لك المبلغ الذى تطالب به . فاتوسل اليك اذن ان تخفض شروطك الفادحة وتعيد اليها الرسائل نظير المبلغ الذى ذكرته لك فانه اقصى ماتستطيع دفعه

فابتسم ميلفرتون ابتسامة عريضة . ثم قال :

ـ انى عالم بان ماقلته عن حالة الليدى المالية صحيح . لكن ينبغى ان تعترف بان زواجها من الايرل هو بالنسبة لامثالى فرصة طيبة لاتعوض ، للحصول على بعض المغانم

فغمغم هولمز وهو يكظم غيظه : انك تتكلم بلهجة الواثق من نفسه يامستر ميلفرتون .

فقال المحتال وهو يخرج حافظة اوراق منتفخة : انظر الى

هذا الغلاف .. وذاك الشمار انت تعلم بالطبع انه شمار .. لكن لا .. قد لايكون من اللياقة ان اذكر الاسم حتى صباح غد .. ولو ان هذا الغلاف سيكون فى تلك اللحظة بين يدى زوج الليدى .. لا لشىء الا لانها لاتستطيع الحصول على مبلغ ضئيل تشترى به كرامتها ، ماذا يضيرها لو استبدلت جواهرها باخرى من الزجاج ؟ ! الحق انى لا افهم معنى التردد والاحجام فى مثل هذه المواقف العصيبة .. العلك تذكر كيف فسخت خطوبة الاونورابل مس مايلز والكولونيل دوركنج ؟ فهل تعلم انه قبل ان تقع هـذه المأساة بيومين نشرت صحيفة المورتنج بوست نبأ قيل فيه ان كل شىء يوشك على الانتهاء ؟! لكن لماذا ؟! ان العقل لا يكاد يصدق السبب .. لقد رفضت الفتاة ان تدفع اثنى عشر الفا من الجنيهات لتشترى مستقبلا سعيدا . فخسرت حاضرها ومستقبلها معا . اليس ذلك امرا يؤسف له ! ! وها انت بدورك تحاول ان تراوغ ، وتتنصل ، كأنما مستقبل وشرف عميلتك لا يوازى المبلغ المطلوب . لعمرى . انك تدهشنى يامستر هولمز

فقال هولمز : لقد قلت لك الصدق . فليس فى استطاعة موكلتى ان تحصل على المبلغ المطلوب نخير لك ان تقبـل ماعرضته من ان تحطم حياة امراة .. لأن اولى الحالتين أجدى عليك

ـ انك مخطىء يامستر هولمز .. ان القضية ستعود على بربح كبير من طريق غير مباشر فان لدى الان ثمانى قضايا مماثلة فى طور النضوج . فلو اذعت بين صاحباتها اننى مثلت بالليدى تمثيلا قاسيا . لرضخن لمطالبى بغير مناقشة . فهل تبينت وجهة نظرى ؟

فوثب هولمز من مقعده . وقال : قف خلفه ياوطسن . ولاتدعه يتحرك من مكانه

ثم تحول الى المحتال وقال له من بين اسنانه :

– دعنا نرى حافهة اوراقك وما فيها يا سيدى

وفجاة . وبحركة سريعة اشبه بحركات القرود ، وثب ميلفرتون الى الجدار ، والصق ظهره به . ثم قلب معطفه . واخرج من احد جيوبه مسدسا ضخما ، امسكه فى يده ، وقال :

– لقد كنت اتوقع شيئا من ذلك يامستر هولمز . فقد طالما واجهتنى مثل هذه المواقف . ولكن ما فائدة المقاومة أؤكد لك اننى مزود باسلحة لاتتوفر لاى انسان آخر .. وفوق ذلك فانى اعرف كيف استخدم هذه الاسلحة بحيث الحق اعظم الضرر بغريمى

وابتسم بسخرية . ثم اردف : لقد اخطأت التقدير ياسيدى حين توهمت أننى احضرت الرسائل معى . لانى لست من الحمق الى هذا الحد الخطر .. والان ، طاب مساؤكما .. ايها السيدان ، فانى على موعد . والمسافة بعيدة الى هامبستيد .–

وتراجع المحتال الى الباب . فالتقطت احد المقاعد لأحطم به جمجمته ، ولكن هولمز هز راسه سلبا . فأعدته الى مكانه .

وبعد لحظات سمعنا كر عجلات مركبة مستر ميلفرتون وهى تبتعد به عن المنزل

وتهالك هولمز فوق مقعده . وأطرق مفكرا
وبعد دقائق معدودات ، واثب واقفا .. كانما اعتزم امرا

وجلست انتظر . وما لبثت ان رايت شابا فى ثياب العمال له لحية كثة ، ويضع فى فمه غليونا من الطفل . خارجا من

غرفة نوم هولمز
وشدما كانت دهشتى عندما تبينت من صـــوته انه صديقى ، قال لى :
ـ سأعود بعد قليل ياوطسن .
ثم غادر المنزل على عجل
وفى التو أيقنت انه بدأ حملته ضد شارلس اوفسطوس ميلفرتون .

« . »

ومضت بضعة أيام وهولمز يغادر الدار مبكراً ، ويعود اليها متأخرا ، وهو متقمص تلك الشخصية العجيبة

ولم يذكر لى شيئا عن تطورات الموقف ، فقط قال لى انه يقضى جل وقته فى هامبستيد ، وان هذا الوقت لايذهب هباء ، الى أن كانت ليلة عاصفة هوجاء ، عاد فيها الى المنزل فى ساعة متاخرة ، وقال لى آنه اتم آخر رحلاته الى هامبستيد وبعد آن تجرد من تنكره ، وجلس امام المدفأة يلتمس الدفء قال لى :

ـ قد يهمك ان تعلم اننى خطبت ياوطسن
فهتف مبهوتا : ياصديقى ! انى اهنئ ....

ـ نعم .. انى خطيب وصيفة مليفرتون
ـ ياللسماء ياهولمز !
ـ انى بحاجة الى المعلومات ياوطسن

ـ ولكنك شططت فى تصرفاتك

ـ كانت خطوة لاغنى عنها ، لقد زعمت اننى سـباك ناجح ، وانتحلت اسم اسكوت ، وبذلك استطعت ان ارافق الفتاة فى نزهات مسائية طويلة ، وأن اجاذبها احاديث ودية

منمقة واستدرجتها حتى افضت الى بكل المعلومات التى انا بحاجة اليها ، وانى الان على علم بكل خبر من منزل ميلفرتون
ـ والفتاة ياهولمز ؟
فهز كتفيه استخفافا ، وقال :

ـ ولماذا بوسعى ان اصنع من اجلها ؟ ! كان من المحتم على ان استغل سذاجتها لمصلحة القضـيـة التي اتولاها ، وانه ليسرنى ان اقول ان لى منافسا بغيضـا لا يحجم من تمزيقى اربا لو ادرت له ظهرى ، ما ابدع هذه الليلة ! !
ـ هل يروقك هذا الطقس الصاخب ؟
ـ انه يلائم اغراضى ، فقد عولت فيه على اقتحام منزل ميلفرتون ياوطسن

فانتفضت ، وتولانى الجزع ، فقد خفت ان يقبض على هولمز ، فينهار مستقبله المشرف ويتلطخ ماضيه الرائع

صحت : فكر فيما انت مقدم عليه ياهولمز ، فالامر خطير

ـ لقد فكرت فى جميع الاحتمالات ياصديقى ، وانت ادرى الناس باننى لا اتهور ولا اندفع ، ولو كانت هناك وسـيلة اخرى غير هذه تمكننى من بلوغ اغراضى لما ترددت فى الالتجاء اليها ، والموقف من الوجهة الخلقية يسيغ هذه السرقة ، ولو ان القانون يحرمها ويعاقب عليها ، ثم اننى بعـد ذلك لا ابغى من سطوى على منزل المحتال غير اخذ الرسائل التى يستخدمها فى عمل غير مشروع

فتاملت قوله ، وقلت معقبا : نعم ، هذا تعليل مقبـول خلقياً ، ومنطقيا

ـ اذن مادام الامر كذلك ، فلم يبق غير التفكير فى المجازفة الشخصية ، ولكن الرجل المهذب لايقيم وزنا للتضـحية

شخصية في سبيل امرأة توشك سمعتها على الانهيار ، وما دامت السيدى التعسة لاتملك المال اللازم لشراء الرسائل فليس هناك سبيل لتجنب الكارثة غير حرمان المحتال منها ، ولما كان غدا هو آخر ايام المهلة المضروبة ، فليس ثم مفر من القيام بهذه المغامرة الخطرة الليلة

ولما طلبت اليه ان يصحبنى معه ، رفض ، ولكنى اصررت على الذهاب ، وهددته بافساد خطته ، فاذعن كارها

وتقدم هولمز من مكتبه .. واخرج من احد ادراجه حقيبة جلدية صغيرة .. فتحها .. فرأيت عددا من الادوات الدقيقة التى يستعملها اللصوص فى السطو على المنازل

وكان هولمز قد اعد قناعين .. وحذائين من المطاط .. وبعد ان تناولنا عشـــاء خفيفا باردا .. غادرنا المنزل .. وكانت الساعة الحادية عشرة مساء .. فرجونا ان نعود فى الساعة الثانية صباحا بعد اتمام مهمتنا

واستقللنا مركبة من شارع اكسفورد .. وطلبنا الى الحوذى ان ينطلق الى هامبستيد .. فلما بلغنا حدود الحى اوقفنا المركبة .. ونقدنا الحوذى اجره .. ثم صرفناه .. واستانفنا رحلتنا سيرا على الاقدام

وفى الطريق قال هولمز : ان مغامرتنا تحتاج الى كل يقظتنا واهتمامنا ، فان الوثائق موضوعة فى خزانة بغرفة مكتب المحتال ، وهذه الغرفة ملاصقة لمخدعه ، وقد علمت من (خطيبتى) ! اجاثا ان سيدها ثقيل النوم ، حتى لقد طالما تندر الخدم بانه يستحيل ايقاظه من نومه ، ولما كان سكرتير المحتال حريصا على خدمته ، ولا يغادر غرفة المكتب اثنــاء النهار ، فقد اخترت الليل لمغامرتنا ، ومع ذلك فان موقفنا محفوف بالمخاطر ، اذ يطلق الخدم كلبا متوحشا فى الحديقة

اثناء الليل ، ليفترس كل من تحدثه نفسه باقتحام الدار
وقد اتفق مرة ان ذهبت لمقابلة اجاثا فى ساعة متاخرة من الليل ، فحرصت الفتاة على ان تربط الكلب وتكمم فمه قبل ان تسمح لى بدخول الحديقة

وبعد قليل من الصمت استطرد هولمز : انظر . ! ها قد بلغنا المنزل .. فخير لنا آن نضع القناعين فوق وجهينا .. بالحظ الحسن .. ان جميع النوافذ معتمة .. فلا ريب أن جميع سكان المنزل مستسلمون للنوم الهنيء .

وتسللنا الى الحديقة .. وتقدمنا من الدار .. فرايت شرفة تمتد على طول الواجهة .. وتطل عليها عدة نوافذ وبابان

وهمس هولمز :

ـ هذه هى غرفة نومه .. واما هذا الباب فيؤدى الى غرفة المكتبة .. ولكنه مع الاسف مغلق بالمزلاج من الداخل ومن الخطر ان نحاول فتحه عنوة .. فهلم معى الى غرفة حفظ النباتات فان بها باب يؤدى الى غرفة الجلوس مباشرة

وكان باب غرفة النباتات مغلقا .. ولكن هولمز استعان بادواته الدقيقة على فتحه .. ثم نفذنا الى الداخل .. واغلق هولمز الباب خلفنا

ومضينا بين الاشجار .. بحذر .. وبطء .. الى ان بلغنا بابا ، دلفنا منه الى غرفة فسيحة الارجاء .. كانت رائحة التبغ لاتزال تشيع فى جوها

وامسك هولمز بيدى .. وراح يتحسس طريقه باليد الاخرى .. وفتح بابا آخر .. ثم اغلقه فمددت يدى امامى فلمست بضعة معاطف .. وعندئذ ادركت اننا نسير فى دهليز

وانعطفنا جانبا .. وفتح هولمز احد الأبواب بحذر شديد وعندئذ اندفع نحونا شيء جعلنى ارتجف فرقا .. ولكننى مالبثت ان تمالكت روعى عندما تبينت انه قط

واغلق هولمز الباب بحذر شديد ايضا .. وكانت النار لاتزال تشتعل فى المدفأة .. فتلفت حولى .. ورايت على ضوئها الباهت ماحولنا من اثاث .. وعرفت اننا فى غرفة المكتب

وفى الجدار المقابل .. وقع بصرى على الباب الموصل الى مخدع ميلفرتون .. وفوقه بستار مسدل

وكانت الغرفة فاخرة الرياش ، يتوسطها مكتب أنيق ، امامه مقعد من الجلد الاحمر الثمين .. ويقابله دولاب رصت به عشرات من المؤلفات .. وفوقه تمثال من المرمر لفينوس آلهة الجمال بينما وضعت الخزانة فى الركن الملاصق لدولاب الكتب

وتقدم هولمز من الخزانة بخطى بطيئة متلصصة .. وتأملها مليا .. ثم سار الى الباب الموصل الى غرفة النوم .. واصاخ السمع . وفى تلك الاثناء دار بخلدى ان اؤمن طريق النجاة .. فمشيت الى باب الشرفة .. وشدما كانت دهشتى .. عندما رايته غير مغلق

وتقدمت من هولمز .. ولمست كتفه .. ثم أشرت الى الباب .. فلما رآه على هذه الحال .. انتفض بدوره دلالة على الدهشة

وهمس فى أذنى : يالله ! ان تركه كذلك يثير الارتياب .. فينبغى ان نبادر بالعمل .. فابق بجانبه .. واذا سمعت صوتا من الخارج فاغلقه بالمزلاج .. ثم نبادر بالهرب عن

طريق غرفة النبالات .. واما اذا جاء احد من باب الغرفة الرئيسى ، وكنا قد اتممنا مهمتنا ، غادرنا الغرفة عن طريق الشرفة .. والا اختبانا خلف هذه النافذة .. فهل فهمت ؟

فاومات براسى ، ووقفت بجـــوار الباب ، وانا اعجب لتصرفات القدر التى جعلت من حماة القانون اول من يخرق القانون

ورحت اراقب هولمز وهو يستعين ببعض الادوات على فتح الخزانة ، ولما كنت اعلم انه من هواة فتح الخزائن ، فقد ايقنت انه سيوفق فى التغلب على الصعوبة الحالية

وبعد نصف ساعة ، نجح هولمز فى فتح الخزانة

وكان اول ما وقع عليه بصرى بداخلها حزما من الاوراق مربوطة بخيوط رفيعه ، ولصق كل منها ورقة لم يخف على انها كانت تحوى اسم صاحبها او صاحبتها

والتقط هولمز احدى الحزم ، واستعان بمصـــــباحه الكهربائى على قراءة ماكتب عليها ، ولكنه ما لبث ان جمد فى مكانه ، ثم اطفا المصباح ووضعه وحقيبة الادوات فى جيبه وبعد ان اغلق باب الخـــزانة بهدوء ، اسرع بالاختفاء خلف الستار المسدل فوق النافذة ، واشار الى لكى احذو حذوه

وماكدت انضم اليه خلف الستار ، حتى سمعت صوت باب يغلق فى المنزل .. واعقب ذلك وقع اقدام مقبلة على عجل .. ثم فتح باب الغرفة .. واضىء المصباح الكهربائى نغمر الضوء الغرفة

واغلق الباب مرة اخرى ، وراح القادم يروح ويغـدو على قيد اقدام منا .. وما لبثنا ان سمعنا صوت مقعد ينقل

من موضعه .. وتلاشى وقع الاقدام ، وأعقب ذلك صوت مفتاح يدس فى قفل ، وحفيف أوراق .

ودفعنى الفضول الى مراقبة القادم .. فوضعت يدى بين شقى الستار ، وتطلعت الى الخارج .

والتصق هولمز بى .. وتطلع مثلى الى ظهر ميلفرتون ، وعندئذ ادركنا اننا اخطأنا فى تقدير حركات الرجل . فهو لم يذهب الى غرفة نومه حتى هذه اللحظة .. وانما كان جالسا اما فى غرفة التدخين او فى غرفة البلياردو فى الجناح الخلفي من المنزل

وكان الرجل جالسا أمام المكتب ، وساقاه ممدودتين امامه وفى فمه سيجار ضخم ، بينما راح يطالع وثائق نشرها بين يديه .

واوحت الينا جلسته انه لن يعجل بالرحيل .. وشعرت بيد هولمز وهى تطبق على ذراعى وتضغطه كانما أراد ان يقول لى ان الموقف لا يدعو الى التشاؤم .

وكنت اتساءل : ترى هل أخطأ رب الدار النظر الى باب الخزانة وهو ليس مغلقا كما يجب .. أم انه رآه .. ورسم خطة جهنمية العمل ؟ !

ومضت الدقائق ثقالا .. وكان ميلفرتون لا يفتأ يتطلع الى ساعته بين الفينة والفينة ، وما لبث ان وضع الاوراق فوق المكتب ، ونهض واقفا ، ولكنه عاد الى الجلوس .. واتى بحركة من يده تدل على السأم

وما لبثنا ان سمعنا صوتا خافتا صادرا من ناحية الشرفة فعجبنا لامر ذلك الزائر الذى يأتى فى هذه الساعة المتأخرة من الليل .

وبعد هنيهة سمعنا طرقا خفيفا على باب الشرفة .. ورأينا مليفرتون ينبعث واقفا ، ويتقدم من البـــاب .. ويفتحه .. ثم يقول :

ـ لقد تأخرت عن الموعد نصف ساعة

وهكذا اتضح السبب الذى من اجله ترك مليفرتون باب الشرفة مفتوحا

وسمعنا حفيف ثوب نسائى .. فاغلقت الفرجة مؤقتا ولما اخذ رب الدار وزائرته مجلسيهما ، أعدت فتحها .. وتطلعنا الى الخارج ، فرأينا امراة طويلة ، رشيقة القامة ، تضع قناعا فوق وجهها جلست فوق المقعد المقابل للمكتب

وكانت المرأة تلهث ، وهى تنتفض بوضوح دلالة على الوجل والجزع

قال ميلفرتون :

ـ حسنا .. لقد اضعت على راحة ليلة ياعزيزتى .. فارجو أن تعوضينى عن هذ العناء .. لكن لماذا تنتفضين هكذا ؟ ! ليهدأ روعك ، حسنا .. لنتكلم اذن فى الاعمال !

واخرج مفكرة من درج مكتبه ، وقال : لقد ذكرت أن لديك خمس رسائل تسىء الى سمعة الكونتس دالبرت . وتريدين بيعها .. وانا بدورى اريد ان ابتاعها . واذن فلم يبق غير تحديد الثمن ، ولكن لابد لى اولا ان أرى هــذه الرسائل .. فاذا كانت صحيحة .. ياالسماء ! ! اهذه انت؟

كانت المراة قد رفعت القناع عن وجهها فجأة .. وكشفت عن ملامحها ، فاذا بها سمراء اللون جذابة التقاطيع ، تنطق معالم وجهها بالنبل وعراقة المحتد .

وتألقت على شفتيها ابتسامة خطرة .. ثم قالت : نعم انا المراة التى حطمت حياتها !

وانفجر مليفرتون ضاحكا ، وقال بصوت يشف عن الخوف :

ـ انك شديدة العناد ياسيدتى ، لماذا تعاملينني بهذه القسوة ؟ ! أؤكد لك اننى لا اوذى ذبابة من تلقاء نفسى ولكن لكل رجل عملا خاصا .. وهذا عملى .. فكيف استطيع الاخلال به ؟ لقد حددت لك سعرا معقولا ، ولكنك رفضت الدفع

ـ لقد بعثت بالرسائل الى زوجى .. ذلك الرجل النبيل الذى لم اكن احلم حتى بان اكون خادمته .. فحطمت حياته ولما لم يستطع احتمال الصدمة القاسية ، رحل عن هذا العالم .. هل تذكر آخر زيارة لى الليلة ، وكيف اننى توسلت ان ترحمنى .. فضحكت فى وجهى ساخرا ، كما تحاول ان تضحك الآن .. ولو ان قلبك الاسود الغايظ لايستطيع ان يمنع شفتيك من الارتعاش ؟ ! نعم .. انك لم تفكر فى ان ترانى هنا مرة اخرى .. ولكن حوادث تلك الليلة علمتنى كيف استطيع ان اقف امامك وجها لوجه .. وعلى انفراد والآن ، ماذا تقول ياشارلس مليفرتون ؟

فاجاب وهو ينهض واقفا : لاتتوهمى ان فى استطاعتك (تهويشى) ، اذ يكفى ان انادى خدمى ، فيلقوا القبض عليك ولكنى سأصفح عنك هذه المرة .. فهلمى انصرفى ، ولننس ماحدث ..

فوثبت المراة واقفة ويدها مدفونة فى صدرها .. والابتسامة الشريرة لاتفارق شفتيها .. ثم قالت :

ـ انك لن تحطم حياة نساء اخريات بعد الآن كما حطمت حياتى ، ولن تكسر قلوبا كما كسرت قلبى .. ساريح العالم من اعظم رجل فاسد ، خذ هذه ايها الوغد ! وهذه ! وهذه ! وهذه ! وهذه .

كانت المرأة قد اخرجت مسدسا صغيرا من صدرها .. وافرغته فى جسد ميلفرتون .

وتراجع المحتال الى الوراء .. ثم سقط فوق المكتب وهو يسعل بشدة ، واصابعه تنقبض على الاوراق .. وعاد فترنح واقفا .. فعاجلته برصاصة اخرى فهوى الى الارض وهو يصيح : « لقد قتلتنى »

ثم اسلم الروح .. فاقبلت المرأة تطأ وجهه بنعلها .. وتمهلت حتى استوثقت من موته .. وما لبثت ان فتحت باب الشرفة .. وابتلعها الظلام .

لم يكن فى استطاعتنا ان ننقذ الرجل من مصيره السىء ولكن اتفق ، بعد ان اطلقت المرأة اولى رصاصاتها ، ان هممت بالتدخل ، ولكن هولمز قبض على يدى بعنف ، واوقفنى حيث انا ، فادركت انه يريدنى على ان اترك الرجل لمصيره بعد اذ ارادت عدالة القدر ان تنزل به الجزاء الذى يستحق

ولما انصرفت المرأة من الغرفة ، وثب هولمز من خلف الستار .. واغلق باب الغرفة الرئيسى بالمفتاح

وفى اللحظة التالية دبت الحياة فى المنزل ، وساد الهرج والمرج .

واسرع هولمز الى الخزانة ، واخذ يخرج محتوياتها ويلقى بها فى النار حتى افرغ مافيها فى المدفأة ، ثم تقدم من المكتب

والتقط الأوراق التى كان مليفرتون يطالعها ، وقذف بها الى النار ايضا ..

واشار الى ان اتبعه .. ثم غادرنا الغرفة من باب الشرفة واطلقنا ساقينا للريح

وبعد هنيهة راينا رجلا متين البنيان يجد فى اثرنا .. بينما ارتفعت من داخل الدار اصوات يوجه اصحابها انظار مطاردنا الينا .

ولكن هولمز كان على المام تام بجميع اجزاء الحديقة ، فما لبثنا ان بلغنا جدارا لا يزيد ارتفاعه على سبعة اقدام ، فتسلقناه .

ووثب هولمز الى الارض ، وعندما هممت باللحاق به كان مطاردنا قد لحق بنا ، وامسك بى من ركبتى ، فخفت ان يعرقل سبيلى ، وعاجلته بساقى الطليقة فوق انفه ! وبذلك استطعت ان اتخلص منه

واستانفنا الركض ، ولم نتوقف الا عندما خرجنا من حى هامبستيد .

وهكذا نجونا .

***

وفى صباح اليوم التالى جاء المفتش لستراد لزيارتنا وكان بادى الاهتمام الممتزج بالتفكير العميق وبعد ان اعتذر الينا عن المجىء فى هذه الساعة المبكرة ، قال :

ـ لقد جئت يامستر هولمز لاسالك ان تمد الى يد المعونة فى حادث وقع ليلة امس فى هامبستيد .

فقال هولمز ببساطة : يا للسماء ! ماذا حدث ؟

ـ جريمة قتل ، جريمة قتل مروعة ، ولما كنت اعلم ان مثل هذه الجرائم تستاثر بكل اهتمامك ، فانه يسرنى ان تتنازل بالانتقال الى مسرح الجريمة ، لتزودنا بنصيحتك انها ليست جريمة عادية يامستر هولمز . لقد كنا نراقب

مستر مايفرتون فى المدة الاخيرة . ولا اخفى عليك انه كان رجلا شريرا .. اذ نمى الينا انه كان يحتفظ باورق خاصة يستغلها استغلالا شائنا ولقد احرق القتلة هذه الاوراق . ولم يسرقوا شيئا ذا قيمة . مما يدل على انهم من الاوساط المحترمة ، ولم يكونوا يقصدون غير واد فضيحة اجتماعية

فصاح هولمز : قتلة ؟ ! اهم عصبة ؟ !

ـ اثنان فقط .. وقد كاد يقبض عليهما متلبسين بالجريمة . ان لدينا آثار اقدامهما .. ووصفهما .. ومن المؤكد اننا سنتمكن من القبض عليهما .

ومضى يسرد الاوصاف التى ذكرها له مساعد البستانى الذى كان يطاردنا .. فلما فرغ قال هولمز :

ـ هذه الاوصاف غير دقيقة . وبعضها ينطبق على صديقى وطسن .

فقال المفتش باسما : هذا صحيح .. قد تكون هذه اوصاف وطسن

فاردف هولمز : يؤسفنى الا اجدنى على استعداد لمساعدتك فى هذه القضية يالستراد .. لقد كنت اعرف ميلفرتون ، واعتبره من اخطر اشرار لندن . ومن رايى ان القانون يقصر عن تحقيق العدالة فى بعض القضاياالتى ترتكب بدافع الانتقام الشخصى .. كلا .. لاتحاول اقناعى .. لقد وضعت قرارى .. ولاسبيل الى نقضه .. فالواقع اننى اعطف على القتلة .. ومن ثم لاتحاول عبثا ان تحملنى على تغيير رايى .

« . »

وقضى هولمز بقية النهار وهو مستغرق فى التفكير . كانما يحاول ان يتذكر امرا اغلق عليه ..

وبينما كنا نتناول طعام الغداء .. توقف هولمز عن الاكل ثم انبعث واقفا ، وصاح :

ـ آه ! ! لقد عثرت عليها ياوطسن . هلم بنا

ولم استطع اللحاق به الا عند باب المنزل . وسرت برفقته صامتا ، حتى بلغنا حانوت مصور فى شارع بيكر . وهناك توقفنا .. واخذنا نستعرض الصور .. وان هى الا لحظة حتى لاحظت ان عينى هولمز مستقرتان فوق صورة معينة ، وماكدت اراها حتى عرفت فيها بطلة امس .

كانت المراة ترتدى ثياب البلاط . وتضع تاجا فوق راسها . وبجانبها زوج الامس .

وماكدت اقرا الاسمين المدونين فى اسفل الصورة .. حتى شهقت شهقة قوية

والتقت عيناى بعينى هولمز .. ولكنه وضع اصبعه فوق شفتيه محذرا . ثم استدار على عقبيه وكر عائدا الى المنزل وانا فى اثره .

(تمت)

الدار القومية للطباعة والنشر
شركة ذات مسئولية محدودة
٣٠ شارع منصور القاهرة
ص.ب ٢٣٩٨ تليفون ٤٥٤٠٥